

أدب المرأة العراقية

بقلم

بدوي أحمد طبانة

١٩٤٨

سقا فلاحه وفد رة مقدا رة

الناشر

دار العالم العربي

الإدارة: دار التوزيع والطباعة والنشر
٥٣ شارع البراهيم باشا (امام شبرد) بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٣٦٨ — ١٩٤٨

٨٣٨١

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مكتبة
ريجال العالم

مكتبة
الكتاب العربي

لهذا

إلى العراق العزيز ...
ذكري سنوات في رُبوعِ العلمِ والأدبِ
أوتحت هذه الكلمات ...
وإلى العروبة، مجموعة أشمل موجة الرأي
وإلى الغيث نساء بحسب
وإلى أدبنا الخالد
أهدي هذه الصفحات ...

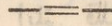
بنزي محمد طه

تصدير

بقلم

الأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم سلامة

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول



أتاحت لي ثلاث السنوات التي أمضيتها في العراق أستاذاً في دار المعلمين العالية، فرصة التعرف القريب لبلاد كسنا نحبها قبل أن نراها، لأنها كانت البيئة الروحية للأدب العربي الذي تصبو إليه أفئدتنا، ويهوى إليها هوانا، على اختلاف بيئاتنا الجغرافية.

وقد أعجبنا بالشباب العراقي، فقد رأينا فيه توثباً وروحاً قوية مندفعة نحو العلم، سرى سرها من بعيد في مجاهل الليل الذي شمل البلاد العربية، وتحتمل جنح تلك الظلمات التي غشيتها، وأبى ذلك الروح الساري إلا أن يقيم كما كان في العراق.

وأكثر ما أعجبت به، بل أكثر ما راعني البنت العراقية، فقد رأيتها على مقاعد الدرس إلى جانب الفتى العراقي تسابقه فتسبقه، وتماجده فتمجده، وما تنازعه إلا أطراف المجد العلمي، فتلتف يدها على النصيب الأكبر منه، أو توازي قوتها قوته في الأقل. ورأيتها وحدها في دار المعلميات، تلتف على طبيعتها وتدرس كل ما يتصل

ببيتها ، فوجدت منافسة النظير للنظير ، لا تقل قوة وأثراً عن منافسة الجنس ، فلقد كانت الفتيات يسبقن في الدرس وفي التحصيل ، ويعمدن إلى التفوق والظهور ، عند ما يكلفن ببحوث علمية أو أدبية .

لذلك لم أجد هذا البحث الذي يبعثه صديقي وتلميذي د الأستاذ بدوى طبانة ، غريباً عني ، بل لقد قرأته والابتسام على شفقي ، والذكريات تضعني أمام شاعرات اليوم وطالباتي بالأمس ، أنشد شعرهن ، وأوىء برأسى إيمامة الرضى والاستمتاع أقرأ شعر إحداهن ، وأتمثلها أمامي في عبايتها ، فلا يسعني إلا أن أقول : « أحسنت يانازك ! مرحى يا عاتكة ! . استمري يا ابنتي فلك الغد . . » . والتبوغ مخايل تظهر أول ما تظهر على مقاعد الدرس ، ثم تكون في الحياة أثراً من الآثار ، وحقيقة من الحقائق ، يسر بها الأستاذ أكثر السرور ، ويغنى بها نفسه أوفر الغناء ، فهمته أن يلح المخايل ، ثم ينميا ، ثم يتعقبا ، ثم يستمتع بها كما يستمتع البستاني بزهراته ، يوم أن تتفتح عن جمال ، وتفصح عن عبير وشذى . . إنه يجلس إلى نفسه مستمتعاً بمجوده ، يردد سروره في حديث نفسه ، وربما اندفع به سروره إلى أن يخاطب نفسه : نعم أنا الذي اخترت لزهراقي هذه التربة ، وأنا الذي وجهتها نحو الشمس الصاحية ، والضوء الصاحي ، وأنا الذي شذبت ما علق بها من طفيليات ، ورددت الناد منها إلى السياج الذي يتحمل ثمرها ، وأنا الذي خلصتها من الأعلاق التي تتشبث بها ، فتعوقها عن النمو والسمو . . ذلك ما يقول البستاني بعد أن تتنور زهرته .

أليس من حق المعلم والأستاذ أن ينعم بما ينعم به هذا البستاني يوم يرى أن زهراته ملأت الأرض روحاً فواحاً ، وملأت النفوس نغماً شادياً ، والقلب شعراً مطرباً معجباً ؟ ولم تتم هذه الزهرات

عن فوح الجمال فحسب ! بل سارت بالحكمة والهداية ، فنبهت إلى حق وأغرّت به . وحدثت من باطل وصدفت عنه . وحدثت السيارة بجدها استبقت به الهمم ، وانحدرت به الآمال إلى غاياتها .

تلك هي الفروق بين زهر البستان وزهر الآداب ، ففي الأدب ما ليس في النبات . والحياة الأدبية لا تحدد بتربة أو بأمة ، بل بأبي الأدب إلا أن يكون كما فهمه « Taine » من الناس وإلى الناس ، ومن العالم وإلى العالم . ومن هنا كانت رسالة الأدب أعلى الرسائل ، وكان للعالم أن يسر أكثر مما يسر به البستاني . إن البستاني يحب زهرته الناضرة ، فإذا ذبلت قطعها ، أما المعلم فإن زهرته إذا ذبلت غذاها وقواها ، وعد لها بيده إلى حيث تطلع الشمس ، فتحبها الحياة ثانية .

وكم لحت في « نازك » الشاعرة العراقية التي يعرف بها أديبنا صمتا ممضا ، لا يلبث أن يتنفس عن حكمة . كان وجهها الطفلي الصغير تغومه سحائب من قلق لا أعرف مأناه ، وربما لا تعرف هي مأناه ! وكنت أتم أن أبدد شيئا من هذه السحب التي تغشى الهلال في أيامه الأولى ، ثم أرجع فأحترم هذا الصمت ، حتى إذا حانت مناسبة رأينا « نازك » تهتف هتافا عاليا بشعر رائع بديع يجري كما يجري الماء في المسارب الصغيرة لا تسمع إلا خريره ، ولا تنظر إلا إلى صفائه ، على أنك تلح في شفافية هذا الصفاء ، أن هذا الغدير يجتاز في مسراه قليلا من العقبات لا تلويه عن الجريان ، ولكن تعرج به هنا وهناك ، ثم لا يلبث أن يطرد ويسير ، بل يتدفق إذا قرب من مصبه .

وهذه « عائكة » أراها في عيانتها العراقية ، في آخر الصفوف متقبضة كالحائفة يقظة كالحائفة أيضا ! وخوفها الأول من فرط أدبها ، وخوفها الثاني من الحرص على تقاليدها ، ولكنها واعية مستوعبة لكل

ما يلقيه الاستاذ ، تنظر في كتابها مستفيدة ، وتطلع إلى أستاذها مستزيدة ، فنشأت بين العناية بنفسها ، وعناية أستاذتها بها . ولكنها مع ذلك تبدو في سواد دائم ، ولقد تستشف نفسها ، فتجد أن نفسها اشتملت على سواد ثيابها ، ثم تعلم من أمرها أن عاطفتها مقسمة بين نفسيين هي منهما : نفس أبيها وقد تركها طفلة فهي لا تنسأه ، كما أنها لا تذكره ، ونفس أمها التي أفرغت فيها كل عواطف الأمومة ، وأفرغت لها كل جهودها العلمية لتقابل جميلها بصنيع جميل .

عرفت « عاتكة » تقول الشعر ، وتقول طبعاً سهلاً ، دالا على عاطفتها ، مصوراً بالصورة القاتمة التي تضيفها عاتكة دائماً على شعرها ، وكنا نستمع إليها في حفلنا وفي مجتمعاتنا بدار المعلمين العالية ببغداد ، وقد سمعنا سمو الوصي في عدة مناسبات ، وأعجب بها وعطف عليها ، وعاتكة جميلة الاداء ، منغمة الإلقاء ، تفهمك شعرها ، وتدخله إلى قلبك بإلقاء دافع جذاب .

« نازك » و « عاتكة » هما من كنت أعرف في دار المعلمين العالية من شاعرات العراق ، أما غيرهما فلم تسعدني الظروف بمعرفتهن ، ولكنني قرأت لهن ما عرضه « الأستاذ بدوي طبانة » ، وعرضه معرف مصور ، يريك البعيد قريباً ، فتتظر إليه كأنك تراه ؛ فعلمت أن السويداء غنية لا برجالها ولكن بشاعراتها ، ومن أراد أن يعرف الفتاة العراقية فليسال « الست أمت سعيد » مديرة دار المعلميات في أياي ، وعميدة « معهد الملكة عالية » الآن ، تلك المريضة الجميلة التي تولت الفتاة العراقية ، والتي تعد المرأة العراقية ، لا أنساها يوم قدمتي لفتياتها في المرة الاولى لدخولي المعهد لتدريس الأدب العربي ، وقد حييت فتياتي بكلمة أفصححت فيها عن أمانى في فتاة اليوم ، ورجأتني في سيدة

الغد ، وما كان أشد تأثري حينما رأيت الفتيات يقابلن كلمتي بالدموع ،
دموع التأثير على هذا الماضي ، ودموع الرجاء الحار في المستقبل .

عرف العراقيون في الست و أمت ، رجاء العراق ، وعرفت
كيف تثير في فتيات العراق رغائبهن وميوطنهن ، وتوجهها للتوجيه
الصالح .

لا أنسى هؤلاء الفتيات في بحوثن وجدهن وتطوافهن على المكتبات
وراء بحث يكلفن به ، ومن يزر مكتبة المعهد يقرأ فيها آثار هذه الجهود
الصحيحة الدالة على صدق الرغبة وصدق العزيمة . هذا هو المعهد خلية
المرأة العراقية ، والأيدي العاملة فيه أيد عوازل ، إلا أنها أيد عاملة
مجدة ، ينتظر عرفها وخيرها .

ولنعد الآن إلى هذا العمل الجليل الذي انتهزت فرصة النظر فيه
لأبعث وأنا على مكنتي في القاهرة بتحية حسنة جميلة للفتاة العراقية ،
والمرأة العراقية التي احترمتها واحترمها ، وأرجو خيراً كثيراً لبلادها
والعروبة على يديها .

عرفت الأستاذ بدوى طبانة ، طالباً كأحسن ما يكون عليه
الطالب الممتع بالذكاء ، المنقب عن الفائدة ، ثم عرفته في بغداد
مدرسا في مدرسة ثانوية لم يمكث بها إلا قليلا ، حتى رشحه جهده وعمله
إلى التدريس في دار المعلمين العالية في بغداد أرقى المؤسسات العلمية في
البلد الشقيق يدرس فيها البلاغة والأدب ، وقد استفاد من بيئة العراق ،
التي لا يزال أدها غصاً معجباً في بغداد وفي الحلة وفي النجف ، وغيرها
من الأمصار العراقية ، وعرفه عالم العراق المرحوم د طه الراوي ،
أفصح الله له في نعيمه ، بقدر ما كان يفسح صدره ومكتبته لطلابه ،

فقدرة وكرمه ، وعرفه أديب العراق الكبير العلامة « رضا الشبيبي » ، فقر به وشاركه في عمل أدبي جليل .

ولقد وقف المؤلف بنفسه على الحركة الأدبية في العراق ، ولا تزال مواسمها الدينية أسواقاً للأدب ، والعراق ملتهب بالعاطفة الشعرية ، التي أساسها اللوعة على الحسين وآل بيته ، وملتهب بالوطنية القومية التي يندفع إليها العراقيون اندفاعاً سريع العدو في جميع الميادين .

واللوعة التي تهيجها الذكريات الدموية القديمة في الإسلام قد خفت صوته المذهبي تحت تأثير القومية ، ولكن دمعها الحارة أهاجت كوامن الشوق ومواطن الحب ، وحركت من الأحاسيس المختلفة ، وأجرت الشعور في الخلايا الحية من هذه الأمة التي لا تموت ، فسلم الشعر العاطفي والقومي في العراق ، وكان المؤلف مجالهما فيما بينهما .

فقد قدم لنا القومية في كتابه « معروف الرصافي » ، في دراسة تحليلية نقدية ، وقدم لنا العاطفة في « أدب المرأة العراقية » ، وفي شاعريتها بطريقة لا نصفها بأنها حديثة جذابة خصب ، بل يمكن أن نصفها بأنها فنية أيضاً .

فإنه قبل أن يعرض لشعر الشاعرة ، يقدم له ، أو يقدمها لنا ، ويتعرف مواطن المشاعر فيها فيصفها ثم يستشهد بشعرها ، فلا يسعك إلا أن تقول له : صدقت ، هذا قول يدل على قائله ، وتلك آثار تقع عليها الخطأ . كما يقع الدليل العريف على آثار الخط والترحال .

وإذا كان لنا ما نقول في عمله فذلك أنه لم يعرض لشاعراته عرضاً نقدياً ، بل اكتفى بالنماذج والتحليل مع يسير من النقد ، اعتذر عن كثرته بأن ما لديه من النماذج قليل ، وبأن الناشئات في العراق في حاجة

إلى التشجيع ، أكثر مما هن في حاجة إلى التبصير ، الذى يمكن أن يؤثر في عواطفهن الرقيقة ، ولا أقره على اعتذاره ، فالصورة الادبية لا تغنى غناءها ما لم نتعرف مآثاها ، من أين جاءت ؟ أمن البيئة القريبة فتكون طبيعية ؟ أم من البعيد المنقول فتكون أجنبية عن البيئة ؟ ولو كانت قريبة من نفس الشاعر ، وهل أدت ما يرمى إليه الأديب ، أم قالها لنفسه ؟ يغنى بها فيطرب ولا يطرب الناس ؟ وفى مثل هذه الوقفات يبان للمذاهب الحديثة التى تأثر بها الأدب عامة : عراقية وشامية ومصرية ، وفى النماذج التى ذكرها ما يعين على هذا التحليل والنقد ، فالرومانتيكية أو الإبداعية بادية فى شعر أم نزار ، وفى شعر ابتها نازك ، مع تنقلات بين الرمزية والطبيعية فى شعرهما ، وفى بعض شعر ونثر لميعة ، وفى عاتكة ، كلاسيكية أو اتباعية ، ظاهرة مع نواح فردية لانستطيع أن نجمعها تحت اسم مذهب من المذاهب الحديثة ، ولكنها تنزع نحوها . وفى رباب ، كلاسيكية موروثة عن الآب ومستمدة من همومه .

فأم نزار — وكذلك نازك ابتها — لا تغنى بالقافية ، ولا يستطيل نفسها فيها ، بل تستنشق هواها الشعارى بهدوء وقدر . فتقى انتهت من فكرتها انتهت من قافيتها ، ومتى شعرت بعاطفة جديدة ، وأحست بنغمتها فى روحها اختارت عاطفتها جراها وقافيتها ، ثم هما تقفان بين كل عاطفة وأخرى ، تستعذبان ما قالتا فى نغمة جديدة ، لا هى من القافية الاولى ، ولا من الثانية ، ولكنها بنفس هادى مريح ، أشبه بتنفس الجارى فى ميدانه إذا وقف إلى جانب غايته أو أدركها . ولولا أنه من السهل أن يقف القارىء بنفسه على مدلول تلك النماذج الشعرية لذكرنا إلى جانب كل شاعرة نموذجاً مما تقول .

وبعد هذه الكلمة القليلة لا يسعني إلا الشناء على ثلاثة : العراق ،
ومن أنجب ، والمؤلف الذى يحب العراق ويحبه العراق . .

أما العراق فله مجده وهو فى نهضته يقلب صفحاته القديمة ، ويعتز
بها كما يعز الأثرى بتحفه ، ولكنه يتصف فيها بذوق حديث ، وهو
أبدا يتجه بأدبه اتجاها فيه قوة الماضى وتركزه ، وفيه حيوية الحاضر
وضوؤه ولمعانه ، ولا أنسى الحبوبى الكبير ، وموشحاته التى نبغ فيها ،
وحملها أغراض الشعر فحلماتها فى هدوء ، وكانت قديما للغناء والتفكه
فحسب ، ولا أنسى الشاعر اللبق القديم الجديد المتبع المبتدع ، محمود الحبوبى ،
الذى يعلق الآونة بعد الآونة نفيسا فى نفائس العربية ، والشعر فى العراق
كأثواب المجد ، يمسك الرجال بأطرافه وتطرزه النساء بكل مبتدع جديد ،
وأرجو أن يقبل صديقى محمود الحبوبى هذه التحية التى أبعث بها إليه
مع أدب فتيات العراق .

أما المؤلف فقد أحب العراق ، وخصه بجهوده ، والعراق يحفظ
الجميل ، والمؤلف بهذا الاتجاه الذى علق به حبه سيجد مجالا كبيرا
لدراسات عديدة ، وسيجد فى هذا الهوى نواحي عذرية نجب نسيمها ،
وتتعرض له ، ونصبو مع صباه ، وسيجد لكتابته قراء فى العراق ، لأنه
يحدثهم حديثا مباشرا من الفم إلى الفم ، ومن القلب إلى القلب ، وقراء
فى مصر وسائر بلاد العروبة ، لأنه يتحدث عن إخوان عزيز علينا
ذكرهم ، حبيب إلى نفوسنا مغناهم وغناؤهم ، إذا عاشرناهم أحببناهم ،
وإذا تركناهم تلفتنا إليهم ، كما كان يتلفت العربى الأول إلى هواه ويقول :

فإن كنت قد فارقت نجداً وأهله فما عهد نجد عندنا بذميم

ابراهيم سلامة

القاهرة



مَدَامَات

١

حديث . . .

في أمسية من أمسيات ربيع سنة ١٩٤٧ أخذت دار المعلمين العالمية في بغداد زخرفها وازينت ، فالألآت مداخلها ، وازدهرت أبهاؤها وأشجار حدائقها بالأنوار ، ورفرفت على مداخلها أعلام العروبة ، فبدت في هذه الأمسية في حلة تخلب الأبصار ، وتأخذ بمجامع القلوب .

ولم تكن هذه أول مرة تبدو فيها الدار في هذا الثوب الأخاذ الذي ارتدته أبنيتها ، فلقد اعتادت أن تلبس مثل هذا اللبوس في مناسبات شتى حين تحتفي بزائر كريم ، أو مقدم ضيف عزيز ، أو في حفلة من تلك الحفلات التي اعتادت الجماعات العلمية والأدبية والرياضية في تلك الكلية أن تتنافس في سبيل تنسيقها وإجادتها ، ولكن المناسبة في هذه الليلة الفاتقة كانت مظهرأ من أجمل مظاهر ما تكنه قلوب شباب هذه الأمة نحو إخوانهم من شباب العروبة في مختلف أمصارها وأقطارها .

كان الضيوف في هذه المرة رهطاً من طلاب إحدى البلاد العربية الذين وفدوا على العراق لزيارة وادي الرافدين، والوقوف على حضارته ومعالم نهضته، وليوثقوا صلات الأخوة بينهم وبين إخوانهم شباب دجلة والفرات، ولعل هذا العامل كان السبب في جمال هذه الليلة وفوقانها وأناقته.

اختلف المدعوون إلى موائد الطعام، ثم التقوا بإخوانهم من أساتذة الدار وطلابها وطوالها في قاعة المحاضرات، فجلسوا في حلقات يصغون إلى عبارات الترحيب شعراً ونثراً، ويلهون في سمر عذب برى بما كان قد أعد لهم في هذا المجتمع الجميل.

وكنـت أحد المشاركين في الحفاوة بالقوم، وما لبثت غير قليل حتى همس في أذني أحد غلمان الدار بأن منادياً يناديني، ويطلب التحدث إلى بالمسرة، فطابت إليه أن يعرف المتكلم وينظره حتى ينتهي الحفل، ولكنه عاد يلح في الطلب إذ لم يجد السبيل إلى الاعتذار فاستأذنت صحتي، وهرعت إلى المسرة وجرى الحديث:

— من المتكلم .. ؟

— أنت فلان ؟

— نعم .. أنا هو ؟ ومن يكون المتفضل بالسؤال ؟ (فقد

أحسست أن المتحدث سيده لم يسبق لي أن سمعت صوتها)

— لا داعى لهذا الآن وستعرفنى بعد حين ! .. عذرا إذا
 حرمتك من حفلكم الحافل لسؤال أرجو أن تسمح بالإجابة عنه .
 — أرجو أن يعيننى الله على الجواب !
 — من قائل هذا البيت :

« وكم قرطست » ؟ ؟

وكان البيت من قصيدة للرصافى فى أحد علماء البغداديين ، وفيه
 الإقذاع والهجو المر ، وكنايات لا يحسن أن تجرى على الأفواه ،
 فعجبت لهذا الحديث من امرأة فى خطاب رجل لا تعرفه ، وخفت
 أن يطول الحديث على هذا النحو ، وما أسرع ما أجبته :
 — لا أعرف هذا الشعر ، ولا أعرف قائله !

— (أجات فى تشف وانتقام) إنه للرصافى يا صاحب الرصافى !
 وأخذت فى إنشاد القصيدة التى اختارت منها هذا البيت .
 — لا أذكر أنى قرأته .

— سؤال آخر : أى شعراء العراق تفضل ؟

— لا أستطيع المفاضلة فى كلمة عابرة ، ولكن فى العراق عددا من
 مجيدى الشعراء منهم الشيبى والجواهري والجبوبى والأزرى و... و...
 — نسيت أشعر هؤلاء جميعا . نسيت السيد خيرى الهنداوى ، ألم
 تقرأ قصيدته .. وقصيدته (وأخذت تتلو شعرا فى الغزل والخمرات
 لهذا الشاعر الكبير) ... ؟

وطال الحديث على هذا الغرار ، دون أن أظفر بالوقوف على صاحبة هذا الصوت أو هذه الأدبية الواعية ، فقد طلبت أن أوجل معرفة ذلك إلى فرصة أخرى .

وعدت إلى حلقتي يتنازعني عاملان : عامل الإعجاب بهذه القدرة الفائقة على الحفظ والرواية ، والقدرة الباهرة على التحدث في الأدب وفنونه ، والإلمام بشواهد وشوارده ، وعامل الدهش باستتار ذوات هذه المواهب في خدورهن ، لا يعربن عن مواهبهن ، ولا يفصحن عنها وما يردن أن يعرفن ، ولوأنهن برزن بهذه العدة الأدبية لأتين بكل جديد يدعو إلى الدهش والإعجاب .

ويستحيل أن تكون واحدة لا ثانية لها في وادي الرافدين تلك التي لم تمط اللثام عن اسمها ، ولم تعرب عن شخصها ، بل لا بد أن يكون هنالك نظائر لها حال بينهن وبين الشخصوص في المجتمع الحفاظ على التقاليد الأسرية الموروثة التي تحرم على المرأة البروز في المجتمعات ، أو الكتابة في الصحف ، فبقين في الخدور كالزهور في الأكمام ، ولو قدر لهذه النماذج أن تبرز يوما من الأيام على صورة واضحة لأحدثت في عالم الأدب حدثا كبيرا .

ولكن على الرغم من البيئة المحافظة والتقاليد الموروثة التي أبقت المرأة العراقية خلف حجابها فإن هناك من ارتدن الطريق ، وفتحن الباب أمام أخواتهن فكان بحق (الرائدات) .

لقد كان الحديث الذي ذكرت منها لما كان غافلا من بعض
الصور الأدبية التي أتيح لي استطلاعها في بعض فرص العمل خلال
إقامتي في العراق .

٢

الشعر العراقي بين حاضره وماضيه

إن نهضة العراق الأدبية كما يجدها الباحث المدقق قد اختصت
بالشعر دون النثر، وربما كان ذلك من خصائص الأمم في مطالع
نهضاتها الفكرية والعقلية، فيخصب خيالها الذي يشرق ويغرب
في منفسح الحياة وفي رحابها. وليس معنى هذا أنه لا يوجد في نهضة
العراق الأدبية نثر، ولكن معناه أن مظهر الحياة الأدبية هو الشعر،
وأن النثر بالقياس إليه وبالقياس إلى نهضته وتنوع فنونه وتعدد
أعلامه في بعض الحواضر العربية ليس شيئا مذكورا .

والحق أن حاضر الشعر في العراق لم ينبتر عن ماضيه، فإن من
أسباب رواج الفنون الشعرية في هذا الجزء من بلاد العربية تأصل
النزعة الشعرية ومتابعة جهود الشعراء في عهد ازدهار العربية وآدابها
أيام العباسيين، وعلى الرغم من الانحطاط السياسي والتدهور
الاجتماعي الذي ساد العراق بعد ضعف الخلفاء، والحادث الجلل في

تاريخ العراق وتاريخ العروبة وأعنى به سقوط بغداد عند منتصف القرن السابع الهجرى ، ظلت للعراق منزلته الأدبية فى عالم الشعر ، ونسبغ فيه شعراء تابعوا فحول المبرزين من أعلام الشعر حتى فى أشد عصور التاريخ حلوكه وظلاما ، وإن كانت هناك حلقات مفقودة تتوسط هذه الأزمان ، وإن كان هناك اصطباغ للشعر فى بعض عصوره بلون ما يتصوره الناس للمثل العليا الشعرية فى المعانى والأخيلة ، ثم فى الألفاظ والأساليب .

فحين كانت للشعر البديعى دولة فى العصور المظلمة لم يعدم العراق شعراء أسرفوا فى صبغ شعرهم بالمحسنات البديعية ، وإلى جانبهم غيرهم من المطبوعين الذين صانوا شعرهم عن مظاهر التكلف وآثار الصناعة ، فانبعث شعرهم صدى لشعورهم الخالص ، وما يعتلج بين جوانحهم من العواطف ، وبفضل هؤلاء لم ينقطع تيار الشعر الأصيل فى العراق عن التدفق والانثيال ، على عكس غيره من بلاد العرب .

ومن الخطأ البين الذى وقع لأكثر الذين كتبوا فى تاريخ الأدب وأرخوا نهضته فى عصر الانبعاث ، عدمهم أو تأريخهم بدء النهضة الشعرية بالبارودى الذى قالوا عنه إنه حامل لواء هذه النهضة الشعرية فى العصر الحديث بعد إرهابه له على يد اسماعيل الخشاب ، وصفوت الساعاتى ، والسيد على الدرويش ، وغيرهم من سابقيه إلى الوجود .

قد يكون هذا صحيحاً بجملة في مصر، وقد يكون صحيحاً في بعض جاراتها، ولهذا الدعوى ما يبررها حين نستقرئ المأثور من شعر عصر الانبعاث وشعر الأيام السابقة في عهد المماليك والعثمانيين، إذ أن البعد صحيح، والبون شاسع بين حالة الشعر في مصر بعد البارودي، وحالته قبل هذه الطبقة التي ذكرنا.

أما إذا ذهب إلى أن هذا الحكم عام يشمل مصر، ويصدق على جميع بلاد العربية فذلك الخطأ في الرأي والخطأ في الأحكام.

إن العراق لم توجد فيه تلك الهوة السحيقة التي نقرأ عنها بين شعراء العصر وأندادهم من شعراء العرب في عهد ازدهار الشعر العربي أيام العباسيين.

ولست أستطيع أن أذهب إلى أن الرقة والتدفق، والعاطفة الصادقة، والنظم الرائق، والديباجة المشرقة التي أجدها في شعر محمد سعيد الجبوبي، أو شعر عبد الغفار الأخرس كانت طفرة لا صلة بينها وبين التعثر المزرى أيام الفترة المظلمة.

ولست أستطيع كذلك أن أذهب إلى أن الفحولة والفخامة والجزالة في المعاني والأساليب التي أقرؤها في شعر محمد رضا الشيباني، كانت أثراً من آثار هذه النهضة المزعومة، كما يحدد مولدها مؤرخو الأدب العربي.

بل إن أثر النهضة في الشعر العراقي لا يعدو ناحية الأغراض والفنون، وشعراء العراق في هذه المرحلة من الزمن يشاركون غيرهم من شعراء العربية في هذا القدر،، وأغنى هذه المشاركة في اختيار الموضوعات التي تتصل بحالة بلادهم، والبحث عن العلل التي تقعد بقومهم عن مجاراة غيرهم من الأقوام الناهضة، والتعبير عن الآمال التي يعلقونها على مستقبل هذه البلاد من ناحيتها السياسية، وناحياتها الاجتماعية.

هذا القدر هو الذي يشارك فيه العراقيون نظراءهم من شعراء العرب، أو إن هذه الناحية هي الأثر الواضح أو المظهر البارز للنهضة الأدبية، والممثلون لهذه الألوان من شعراء العراق كثيرون، نذكر منهم جماعة من فحول الشعراء في مقدمتهم الرصافي والزهراوي والكاظمي والجواهري والهنداوي ومحمود الحبوبى وباقر الشيبى وغيرهم ممن خاضوا في السياسة وعالجوا شئون المجتمع في شعر يغلب عليه طابع الحماسة، وإن يكن لهؤلاء ولغيرهم من الشعر العاطفى الذى يعبر عن خلجات النفوس ما يسايرون فيه غيرهم من الشعراء العاطفين.

ولعل السبب في بقاء هذه الجنوة مشتعلة منذ العصور العباسية هو أن هذه الطبيعة الشعرية قد تأصلت في نفوس العراقيين، وقد يخفت صوتها أحيانا أمام هول الأحداث الطارئة، ولكن لا تلبث القريحة الصافية المواتية أن تشور بين حين وآخر، فتكون أكثر حساسية

وتكون جذوتها أشد اشتعالا ، فلا غرو ألا تخلو فترة من فترات الزمان من عدد من الشعراء المبدعين .

ومن مظاهر هذه السليقة في العصر الحاضر أنها لم تقتصر على الرجال ، بل تجاوزتهم إلى النساء . وإبراز هذه الظاهرة الأدبية هو موضوع هذا الكتاب الذي ذكرنا فيه بعض النابهات من أدبيات العراق .

٣

المرأة العربية ودعاة حريتها

كانت المرأة الشرقية بعامه ، والعربية بخاصة ضحية إهمال شنيع وتقييد فظيع ، والرجل آخذ بأسباب النهوض ، فكان هناك بون شاسع وهوة سحيقة بين الرجل والمرأة ، طلب الرجل لنفسه الحرية ، وكسبها بقيود الاستعباد ، وطلب لنفسه العلم ، وأبقاها تتعثر في دياجير الجهالة .

وهكذا بقيت المرأة العربية ترسف في الأغلال ، وعطل بذلك نصف الأمة عن العمل ، فبقيت رهينة بيتها ، وقعيدة خدرها ، منزوية في كسر بيتها ، وحصرهما في تدبير الطعام وتربية الأولاد ، فربتهم تربية مشوهة على ما ألفت وعرفت من الأساليب العتيقة البالية .

هب جماعة من دعاة الإصلاح يحاولون إنقاذ المرأة مما تكابد من آلام ، وما تعامل به من عنت ، داعين إلى السفور وطرح الحجاب وضرورة تزود المرأة من حياض العلم والمعرفة ، حتى تعالج أمورها

على بصيرة من العلم والفهم، فدعا جماعة منهم إلى إشراكها في سائر تكاليف الحياة، تنهض مع الرجل جنباً إلى جنب بهذه الأعباء وتلك التكاليف. ومما لا ريب فيه أن هذه الدعوات كانت جديدة على المجتمع العربي، فتلقاها بكثير من الإنكار، وارتفعت صيحات مدوية ترمى هؤلاء الدعاة بكل ذام، حتى رموا بالفسق وبالفجور، وبالسفه وبالكفران، وهذا شأن كل جديد لا عهد للمجتمع به، ولا سيما إذا كان هذا الجديد يتصل بالمرأة التي هي مناط عزة الرجل ونخوته؛ ومشارحميته وغيرته، والتي يذهب العربي في سبيل صيانتها والحفاظ عليها إلى التضحية بالنفس والنفيس. فكانت منازرة لا يزال صداها يتجاوب في أرجاء البلاد العربية بين جماعة «المجددين» الذين يدعون إلى تحرير المرأة، وجماعة «المحافظين» الذين يرون الإبقاء على ما هي عليه من التأخر والهوان. وأصحاب الدعوة التحريرية كثيرون من أعلام الرجال، في مقدمتهم قاسم أمين. أعظم الدعاة إلى تحرير المرأة في عصر النهضة، كما نذكر منهم الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي. ومعروف الرصافي وشاعر النيل حافظ إبراهيم، فإن هؤلاء الشعراء الثلاثة وغيرهم يصيرون عن شعور واحد ويرمون إلى هدف واحد، هو النهوض بالمرأة ومحاولة فك أغلالها، مع اختلاف تمليه البيئة التي نشأ فيها كل من هؤلاء الدعاة، وطبيعة كل واحد منهم من حيث الثورة الجاحقة أو الميل إلى القصد والاعتدال، فإن حافظ كان غير مشتط في دعوته،

لأنه يعرف البيئة المحافضة التي درج فيها، ويخشى عواقب هذه الدعوة في نفوس أبناء وطنه الذين يجذبهم القديم، ويخشون الخروج على المألوف، ولذلك تجده غير صريح في دعوته إذ ذاك، وآية التردد في ذلك قوله من قصيدته المشهورة:

أنا لا أقول دعوا الفساح سوا فراً بين الرجال يجان في الأسواق
في دورهن شئون كثيرة كشيون رب السيف والمزراق
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا في الحجب والتضييق والإرهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهرأ خوف الضياع تصان في الاحتقاق
ولكنك ستجد هذه المعاني أكثر وضوحاً وأوفى صراحة
في كثير من شعر الزهاوى الذى سيم من أجله صنوف العسف
والإرهاق، فهذا رأيه يزجيه في صراحة لا التواء فيها ولا إبهام
في قصيدته «أسفري» التي يخاطب بها المرأة العربية فيقول:

أسفري بالحجاب يا ابنة فهر هو دام في الاجتماع وخيم ✓
كل شيء إلى التجدد ماض فلماذا يقر هذا القديم ؟
أسفري ! فالسفور فيه صلاح للفريقين ثم نفع عميم
ويتهم الحجاب بمخالفته الذوق والشرع:

لم يقل بالحجاب في شكله هذا نبى ولا ارتضاه حكيم
هو في الشرع والطبيعة والأدوا ق ، والعقل والضمير ذميم
هو سجن لمن من غير وزر ، وهو حرمان النور وهو الهموم
ولقد تطلب العذارى نسima ثم ما إن يهب ذاك النسيم

ويخاطب المحافظين الذين يخافون على المرأة التردى إن هي
أسفرت فيقول : إن الحجاب ليس هو الذى يبق عفة الفتاة ، وإنما
التعليم والتثقيف :

زعموا أن فى السفور انشلاما كذبوا ، فالسفور طهر سليم
لا ببق عفة الفتاة حجاب بل يقيها تثقيفها والعلوم

أما الرصافى فقد حبا المرأة بما لم يحبها به شاعر غيره ، فصور الحالة
البائسة التى آل إليها أمرها فى الشرق حتى صارت كسقط المتاع ، وكأن
الناس فى هذه الديار لا يعرفونها لغير الاستمتاع ، فألحقوا بالنساء العار :

وقد زعموا أن لسن يصحان فى الدنيا لغير قرار فى البيوت وباء
فما هن إلا متعة من متاعهم وإن صن عن بيع لحم وشراء
أهانوا بهن الأمهات فأصبحوا بما فعلوا من الآم الأوام

وينفرد الرصافى دون الدعاة إلى تحرير المرأة بمعنى من أسمى
المعاني ، ولا نظن أحداً من دعاة حريتها ، ورسل نهضتها استطاع أن
يقول فى حقها ما قال الرصافى .

فقد أعلن أن تقييد المرأة وأسرها حتى أصبحت فى البيت أمة من
الإماء ، مسلوقة الرأى حبيسة المنزل ، قد جر ضرراً شنيعاً ، ووزراً
فظيعاً ، ذاك أن الرجال رضوا بحياة الذل والاستعباد ، لأنهم ربوا
فى حجور الإماء ، والولد بأبويه أشبه ، وبهما ألصق ، فأشربوا الذل

والهوان ، لأنهم رضوا لأمواتهم ولزوجاتهم الذل والهوان ، فقد
تعددت الأمة أن تستجيب لسيدها ، ومالك رققها ، وليس لها من أمر
نفسها كثير أو قليل ، فرضى هو لنفسه الخنوع والاستسلام لحكامه
الظالمين وساداته المتعسفين :

ولو أنهم أبقوا لهن كرامة لكانوا بما أبقوا من الكرماء
ألم ترم أمسوا عبيدا لأنهم على الذل شبوا في حجور إماء !
وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحمل حجور الساسة الغرباء (١)

وهكذا ترى أن شاعري العراق كانا في حملتهما الصادقة على تقييد
المرأة والوقوف في سبيل حريتها جريئين كل الجرأة ، وهي جرأة
مبعتها الإيمان بما يدعو إلى في حماسة ظاهرة منقطعة النظير ، ولا
سيما في العراق الذي تعرف غيرته على العادات والتقاليد .

كان من أثر هذه الدعوات الصادقة أن تنهت المرأة العربية من
غفوتها ، وأفاق من غشيتها ، ورضخ الرجل لهذا التيار الجارف
الذي لم يستطع مغالبتها ، فجلست إلى جانبه في معاهد العلم ، وشخصت
معه إلى مصادر الثقافة في بلادها وفي خارج بلادها ، فثقفت وأخذت
من الحديث ما أضافته إلى زادها الأصلي الذي تزودت منه في ربوع
بلادها ، فاقتحمت مسائل الحياة ، وخاضت غمار العلوم ، وعالجت

(١) ص ١٤٩ معروف الرصافي: دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية. بقلم المؤلف .

الفنون ، محتذية في ذلك حذو الغربيات اللاتي ضربن بسهمهم في مناحي الحياة وشعابها ، وقد بلغت في ذلك بعض آمالها ، وحقت بعض الغايات التربوية ، ففهمت الامومة الفهم الصحيح ، وعنيت بتنسيق بيتها ، وقرأت وتشققت ، وشاركت في بعض الأعمال العامة ، فكانت معلمة وطبيبة ومحامية ، وواست الجرحى ، واحتضنت المشردين وحنّت عليهن ، وساهمت في أعمال البر ، وغير ذلك مما هو في مقدورها وواقع في حدود استطاعتها .

* * *

ولقد سجل التاريخ لبعض النساء العربيات مآثر ونبوغاً في فترات زمنية متقطعة ، في العقل والعلم والأدب ، فخلدت كتب الأدب والتاريخ ذكر جماعة من فضلياتهن بكلمة البكرية ، والخنساء ، وعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وعليّة ابنة المهدي وولادة بنت المستكفي بالله ، ورابعة العدوية ، وغيرهن ممن كانت لهن مشاركة في الرأي والأدب ، ومن أرغمن الرجال على احترامهن وتقدير مواهبهن .

وأبرزت النهضة الحاضرة نساء كان لهن ضلع في نهضة المرأة العربية ، وبلوغها المنزلّة التي ظلت ترنو إليها ، والتدليل على جدارتها بهذه المنزلّة بالإنتاج الفكري والأدبي ، والمشاركة في العناية بمعالجة شؤون المجتمع ، فمنهن باحثة البادية السيدة ملك حفني ناصف ، وعائشة

التيمورية ، ومى زيادة ، وابنة الشاطىء ، وسهير القلماوى ، وأمينة السعيد ، ووداد سكاكىنى وغيرهن .

٤

أدبيات العراق

وفى هذا الكتاب الذى يسرنا أن نقدمه اليوم إلى قراء العربية عموماً وعشاق الأدب العربى خصوصاً بعد أن نشرنا فصولاً صغيرة منه فى العام الماضى بمجلة العالم العربى ^(١) عمدنا إلى التعريف بعدد من أدبيات العراق ، وكان جل همنا فى هذا التعريف موجهها نحو بيان اتجاهاتهن ، وإبراز ماوهبن من شاعرية ، وما منحن من طاقة أدبية ، وإمداد القارىء بمختارات من أدبهن تعينه على الحكم لهن أو عليهن ، ولا شك أنهن قد أفصحن عن هذه المواهب من زمن قصير لا يحسب له حساب ، وكان تأثرهن الواضح بما يضطرب فى بيئاتهن من حوادث وأحداث ، وفى نفوسهن من آلام وآمال .. وأكثرهن لا يزلن فتيات فى سن الدرس وفى مستقبل العمر والنضج .

وقد لا يجد القارىء فى بعض من عرفنا بهن ما يشده من التعمق فى الفكرة ، ولا الإشراق فى الأسلوب حين يحفزه لذلك عامل الموازنة بينهن وبين من غبرن من أدبيات العرب ، أو بينهن وبين

(١) مجلة العالم العربى : ص ٥٧ من العدد ٥ ، وص ٥٥ من العدد ٦ ، وص ٤٨ من العدد ٧ من السنة الأولى

المعاصرين من فحول الشعراء ومخلفيهم ؛ فلا يهوانه ذلك ولا ينزل منه غير منزلته . فما يستصغر هذا الجهد الأدبي على فتيات في ظروف كالتى ذكرنا ، فأكثرهن لا يزلن في دور التجربة ، على تفاوت ماحوظ بينهن ، تحتمه ظروفهن وثقافتهن ، وطول معاناتهن للشعر والأدب .

وأعتقد مخلصاً أننا حين نستقبل هذا النتاج الأدبي بالحفاوة الجدير بها ، فإنما نأخذ بأيديهن ليتابعن مابدأن ، بعد أن تستوى ملكاتهن فيتخذن مجالسهن الجديرة بهن ، ويخلقن في سماء الشعر والأدب ، ويعدن لها بهجتها ورواءها ، التى رأيناها لأخواتهن فى الأيام السالفة ، وفى ذلك كسب كبير للأدب العربى لاشك .

بقيت مسألة أحب أن أشير إليها قبل أن أختتم هذه المقدمة ، وربما كان فيها ما يعين الناقد والباحث حين يعرض لدلالة هذا النتاج الأدبي على منشأاته . وصدق تصويره لمشاعرهن ، وإعراجه عن أحاسيسهن وخلجات نفوسهن .

أما فيما يتصل بالفنون العامة فلاشك أنه سيجد الصدق والصراحة والإصالة ، سيجد أنهن عاجن أموراً من صميم المجتمع ، وعاجن الأغراض السياسية شعراً أو نثراً لا يقل براعة عن أدب الرجال . وأما فيما يتصل بتصوير هذا النتاج لعواطف صواحباته ، وشعور منتجاته ، فأغلب الظن أنه لن يجد ذلك ، وإن وجد فسيجده على حالة

ينقصها الوضوح ، ويعوزها الإفصاح عن العاطفة ، والصراحة في التعبير .

ولا شك عندي أن القارئ سيفطن إلى العذر قبل أن يسرع إلى تسجيل الوزر ، وسيجد هذا العذر في أن هذا النتاج الأدبي وإذاعته شيء جديد على البيئة التي أنشأته ، فكانت الأدبيات المذكورات مضطرات إلى تجنب مزلق التعبير عن الانفعالات الوجدانية والعواطف النفسية التي تجيش بها نفوسهن الشاعرة ، وقد لا تحمد عقبى التصريح بها .

على أن الأديب رجلاً كان أم امرأة لا يستطيع أحد أن يلزمه اتجاهها خاصاً ، أو التعبير عن غرض بذاته . . ولا يزال بين المرأة العربية وبين صدق التعبير عن عواطفها ومشاعرها مراحل طويلة لها صلتها بالحياة الناهضة والنفوس المتجددة ، وللنهوض قيوده ، وللتجدد حدوده في عالم الرجال ، بله النساء .

وسيرى القارئ أنني عمدت إلى التعريف الذي يكاد يكون مطلقاً ، ولم ألتجأ إلى النقد الأدبي — إلا قليلاً — لعاملين :

أحدهما أن النصوص التي تهيأ لي الاطلاع عليها قليلة لا تفي بحاجة الناقد ، إذا استثنينا واحدة منهن ، هي الشاعرة نازك الملائكة التي أبرزت المجموعة الأولى من شعرها منذ وقت قريب في ديوان أسمته « عاشقة الليل » ، فكانت المادة الأدبية التي بين يدي

لا تعين على النقد الحر، ولا شك أن أحكام الشاعرية أمامها سبيل طويل
للتفتح والازدهار، ووضوح المعالم، واستواء الملكات. ومن الشطط أن
توضع الأحكام قبل استيفاء التراث الأدبي حدوده التي يكون باستيفائها
المجال متسعاً للبحث والنقد والتحليل، ويكون الحكم أكثر دقة
وأقرب إلى الصواب.

والعامل الثاني: الرغبة عن القسوة في الأحكام، فنحن في مجال
إشادة وترحيب، لا مجال تعسف وتقييد وتضييق.

فلندعهم يسرن في الطريق الذي رسمه لشاعريتهن حتى
يوفين على الغاية، وحينئذ يكون لنا أولغيرنا أن يكمل ما أعرضنا
عنه عامدين.



رَجَاءٌ

غائى

أنا من أناس كلهم بدر واكن عند تم
كرموا ولما يلبسوا لعداتهم جلاب اؤم
فإذا لجأت إليهم تلجأ إلى هضبات شم

ليس بين المتتبعين للحركة القومية والنهضة العربية من يجهل منزلة شاعر العرب المرحوم السيد عبد المحسن الكاظمي في الرعيل الأول بين أعلام هذه النهضة ودعاة الوحدة العربية ، والوقوف في وجه أوائها في القرن العشرين ، أو يغفل ما أصابه من عسف وعنت ، ونفي وتشريد ، لا لسبب اللهم إلا إيمانه العميق بما كان يدعو إليه ..

والواقفون على طبيعة الشعر من النقاد ومؤرخي الأدب يعترفون له — دون منازع — بسلامة الطبع ، وصفاء القريحة ، والقدرة الفائقة على صوغ الشعر وارتجاله ، في قوة وطول نفس حتى يوفي على الغاية ، ويستوعب المعنى في غير ما تعثر بصيبيه ، أو كلال يعتريه ، مما يندر أن تقع العين على مثله في أيامنا .

وأنت إذا عددت الكاظمي في الطائفة من شعراء العراق في عصر الانبعاث لم تعد الصواب ، ففيه ولد ، وعلى أرضه نما وترعرع ، ونبئت شاعريته وترعرعت ! ... !

وإذا عددته شاعرا مصريا لم تعد الحق ، ولم تتجاوز الصواب ، ففي مصر قضى الكاظمي ستة وثلاثين عاما صهرته آلامها ، كما صهرت شعره ، وصبغته بهذا اللون الذي يفيض بالأسى والحنين ! ... !

وإذا عددته شاعر الأمة العربية كنت أكثر تحرياً للدقة
وحفاظاً على الصواب !

وما يقال في الكاظمي يقال في كريمته الأدبية الشاعرة « رباب »
فهي مصرية مولداً ونشأةً وحياةً ، وأمها الابنة الرابعة للمجاهد التونسي
السيد محمود أحمد التونسي ، أحد ضحايا الاستعمار الفرنسي في تونس ،
ولكنها قبل ذلك عراقية أولاً وآخرأ ، عراقية بأبيها : ثقافته وحياته
وشعره ، عراقية بزوجها^(١) الذي نشأها من آلام الغربة ، وفقد الولي ،
ومتعها بالحياة الجديرة بها ، فكان خير زوج ، وكان خير ولي .

ومولدها في مصر^(٢) ، لم تبرحها طوال حياتها ، لم يحل بينها وبين أن
تكون شاعرة عراقية ، فيها من العراق حلاوة الطبع ، وصدق
الشاعرية وقوة العاطفة ، ورثت هذه الخصائص عن أبيها الذي راد لها
السبيل ، وأخذ بيدها . فسارت في الطريق الذي رسم لها معالمة ، فبدت
براعتها منذ حداثتها . وفي الأبيات التالية تتضح بواكير شاعرية ثرة ،
في سذاجة الحداثة وعذوبة الطفولة :

أنا رباب الشاعره إلى الامام سائره
بالعلم أدرك المنى والجد والمثابره
أجد ، لا أخشى العثا ار يوم غيري العائره

(١) سعادة الأستاذ الأديب حكمة الجادر جي قنصل المملكة العراقية في الاسكندرية .

(٢) في الثاني والعشرين من أغسطس د آب ، سنة ١٩١٨

أدود عن كرامتي وعن بلادى الطاهره
من دونها لى أذن تصفى وعين ساهره
بلغت غايات المنى وما بلغت العاشره

ثم تأخذ فى الفخر بشعرها والتمدح بوطنها ونسبها، وهو فخر عربى
صميم يجرى فى عروقها ويختلط بدمائها، كما يجرى فى عروق العراقيين،
ويختلط بدمائهم :

شاعرة بأننى خير فتاة شاعره
إن سحر القول فإننى بمقالى ساحره
بغداد لى إذا انتمى مجدى ومصر القاهره
إن نسبوا أخلاقنا ففى الرياض الزاهره
أو ذكروا أنسابنا ففى الشמוש السافره
إذا مشينا وقفت لعزنا القياصره
وإن بديننا سجدت لنورنا الاكاسره

وما كان لرباب أن تنسى العراق أو تتناساه ، وهى خلاصة
ما أبقت الأيام لهذا الأب الذى أقصته الأحداث عن العراق مقر
عظمته ، وموطن أسلافه وثروته ، ولا يزال الرجل يحن إلى وطنه
حنين الإبل إلى أعطانها ، والأسد إلى عرينها ، إذ تداولته الأيام
فى مصر بين نعيم وشقاء ، وبين خصب وجذب ، وبين رضا وسخط
شأن الأحرار فى كل جيل وفى كل قبيل ، وسلواه فى كل شدة ورخاء
وحيدته رباب التى يرى شفاءها شفاءه ، وحياتها حياته :

« فداء رباب داء قلبي ومهجتي وإن شفاها لو علمت شفائي ،
 « درجوت بقاها في الانام وإنما بقاء رباب في الانام بقائي ،^(١)
 ويقول فيها :

« أعيد ربابا أن يساورها الضنى وأن تشتكي مما طويت به طيا ،
 « ولولا رباب ما تركت هوى الربا ولا عفت سعدى الغايات ولا ربا ،
 « ولا هجرت عيني كراها ولا لوت ضلوعي برحاء الجوى والاسى ليا^(٢) ،

هذه منزلة رباب من أبيها ، وجدير بها أن تبادله حبا بحب ، وأن
 تقاسمه بأساء الحياة ، كما قاسمها نعماءها ، وقد ظلت له على ذلك حتى لفظ
 آخر أنفاسه .

* * *

شجعها والدها على نظم الشعر في أول الأمر ، فلما اشتد ساعدها
 وقويت شكيمنتها ، ورأى أنها قد استوحيت غيرته ، واستلهمت
 حميته ، وقبست جذوته ، وتمادت في إرسال شعرها الحار في السياسة
 والاجتماع ، اتتبه الجزع على تلك التي يحرص عليها حرص الضنين
 على صباغة العيش ، وخشى أن يصيبها ما أصابه ، فتزيده آلاما إلى آلامه ،
 وتضيف أحزانا إلى أحزانه إن هي اندفعت في تيار الحماسة ، وفتنة
 السياسة ، فأخذ يحد من نشاطها الأدبي لتصرف عنه إلى دراستها .

(١) ص ١٤٢ من المجموعة الثانية من ديوان الكاظمي - القاهرة ١٩٤٨

(٢) ص ٩٤٣ المصدر السابق

ورضخت رباب التي أحبت أباهما حبا جما لمشيئته وأطاعته ،
ولم تمنعها هذه الطاعة أن تستجيب لطبيعتها الشعرية ، فصاغت كثيراً
من القصائد في أغراض مختلفة ناحية نحو أبيها ، مقلدة إياه في طريقته
البدوية ، ولفظه العذب الرصين .

وغير كثير على رباب أن تولى مصر التي نشأت في ربوعها كثيراً من
عنايتها ، وأن تشارك المصريين عواطفهم ومشاعرهم فتعد نفسها واحدة
منهم فمصر أمها وسعد زغلول أبوها ، كما تقول في مرثية للزعيم الخالد :
أبي سعد ومثل أبي قليل وأمي مصر فهي به تكول
يميل هواي بي لأبي وأمي وكل هوى بصاحبه يميل
إلى أن تقول :

ولو جاز البديل لقلت إني ومن فوق للثرى منه بديل
ويرو عنها ما يروع المصريين من انقسام في الرأي ، وتصدع
في الصفوف ، وميل إلى الهوى ، وتراه علة العلل فيما تكابد مصر
من آلام فتقول في قصيدة أخرى ... :

ولا تسلم في مصر عم	أ فعل الخصام
جنى على البلاد ما	لم يحنه ظلام
قسا فما كيفك من	قسوته استرحام
كم وسوست وساوس	وأوهمت أوهام
وعطلت صحائف	وحطمت أقلام
وكم مشى إلى البرى	بيننا اتهام

وظالت وفية لمبادئ سعد، ترسل الشعر على صفحات الأهرام
وكوكب الشرق، والمساء، وغيرها من الصحف اليومية والمجلات
الأدبية، التي كانت مسرحاً لأفكارها، ومنفذاً لآرائها.

وكانت لها ثورات أغضبت عليها بعض رجال الحكم في بعض
الفترات، فهددوها بالحرمان من التعلم إذا هي عاودت الكتابة
في أمثال تلك الموضوعات، أو نقد رجال الحكومة، فلم ترضخ الفتاة
الشاعرة أن تهادن الطغاة، وما هادنوا أباهاً وأنداده من دعاة الحق
والصلاح، فهددوها بالنفي والتشريد هي ووالدها الشيخ العليل.

وهنا سنحت الفرصة لهذا الوالد للتأثير عليها، وكفها عن التماهى
في هذا العنف، فأكبت على دراستها، حرصاً على أيتها واستدامة حبه
وعطفه، وإبقاء على حياته، فصارت تنظم الشعر في أغراض اجتماعية،
كقصيدتها عندما هزها التبرع الكريم من السيد عبد الرحيم الدمرداش
باشاً بمائة ألف من الجنيهات، وقطعة من الأرض لإنشاء مستشفى فقالت:

يهنيك جودك يا من جدت بالمال	فمثل جودك لم يخطر على بال
يا واهب المائة الآلف التي نزلت	على القبيل نزول الغيث والآل
وهبت قومك مما تكتمسى هبة	جديد صنعك فيها ليس بالبالى
أوليئهم منه غراء خالدة	لا أول الجود يحكيها ولا التالى
أعظم بها هبة في الدهر تحسبها	فريدة سطعت في جيمده الخالى
أطلق بها كل مضى بات ليلته	من الضنى بين أصفاد وأغلال

وتشيد بعمله الإنسانى المجدى ، وبعده عن السياسة وصخبها
وقيلها وقالها ، وتوازن موازنة عابرة بين جد العمل منه ، وبين هزل
القول من غيره :

سس القلوب بما يشفى القلوب ودع ذوى السياسة في قيل وفي قال
واصل فعالك واترك من يقول بلا فعل فكم بين قوال وفعال !
هل يفتدى بك من باتت خزائنه رهن المنيعين من باب وأقفال ؟

وهكذا ظلت رباب ترسل شعرها الرصين في أمثال ذلك الغرض
الاجتماعى الذى لايزعج أحداً من رجال الحكم وأرباب الصولة، وهى
تنزع هذا المنزع استجابة لأبيها الذى خشى على ابنته كيد أعداء الحرية
الذين أسلفوا له الذل والهوان ، بما أسلف فى سبيل حرية الأوطان !
وتنزل الأيام ضرباتها ، وتوالى مخنها على هذا الأب الشيخ ،
فتعتوره الأسقام ، وتنتابه العلل وتضطره أن يلزم داره ، فلا أحد
يحنو عليه ، ولا من يعينه على حرب المرض وحرب الأيام فيستعصى
العلاج ، ويعز ثمن الدواء ، فيئن فى جنح الظلام ، ولا يجد هذا الأبن
صداه إلا فى صدر ابنته الوالدة الحزينة التى تلجأ إلى اليراع ، فيستجيب
لها شيطان الشعر ، ويعنو لها سلطانه ، فيتدفق على أسلة قلبها هذا
الشعر الأصيل ، الذى ينم عن طبع وتمكن فى هذه القصيدة التى تبلغ
أبياتها مائة بيت ، والتى أرسلتها إلى عمها الذى كان يقيم فى القاهرة يومئذ

شكاة مرة على لسانها ، تعبر عن آلام أيها المريض :

أدبى لدى الأيام جرمى وجريرتى فى الدهر على
أظما ولا أحظى بغير موارد فى الناس تصمى
أصغى إلى زمنى وطيب كلامه حرقات كلم
غودرت بين حقيقة حيرانة أمشى ووهم
وبقيت ما بقيت يد بقيت بها آثار وشم

وقد نشرت هذه القصيدة العامرة فى مصر كما نشرت فى صحف
العالم العربى ، فكان لها صدى بعيد ، وامتلات صدور الناس حزنا
وأسى على ما يكابد السيد عبد المحسن الذى أذاب شبابه فى الذب عن
قومه ، والذود عن وطنه من كيد الأيام .

قرأ الناس هذه القصيدة فأعجبتهم حلاوة نظمها ، وسحرتهم جودة
معانيها ، وتدفق الشاعرية فيها ، فاستكثروا هذه الجودة على فتاة
فى مثل سن رباب ، وزعم قوم منهم أن هذه القصيدة ونظائرها من
شعر السيد عبد المحسن الكاظمى نفسه نحلها ابنته ، وهم - كما يبدو -
فى زعمهم هذا معذورون !

ولكن الواقفين على صفاء الطبع العراقى ، وجودة الاستعداد
لا يستكثرون هذه الآيات على فتاة عراقية ، أضافت إلى استعدادها
الموهوب وشاعريتها الموروثة أخذ أيها يدها ، ولرباب نظائر حلقن
فى سماء الشعر والأدب ، وإن لم يتح لبعضهن بعض ما أتيح لرباب !

ولها في مثل الغرض السابق مدحة واستعطاف تقدمت بها إلى
جلالة الملك الهاشمي عبد الله بن الحسين، وهي تفصح عن الظروف
التي أملتها، في أيام حاجة أبيها وعائلته، وللسيد عبد المحسن كثير من
القصائد رفعها إلى الملك العربي الهاشمي، ومن قصيدة رباب:

يا غيث هل من قطرة من جودك الهـ طال ؟
يا بحر هل لؤاؤة من تـلـكم الآلى ؟
تذهب في الأعناق لا أطواق والأغلال
يا ابن النبي نظرة تعيد لي اختيالي
قد عاش الـروض جـد يا غيث باهمال
مكثي على مستخـ لصـ الـولاء وانتقال

وظلت رباب تقرض الشعر الكثير، لا تنشر منه إلا القليل، إلى
أن أربى ما نظمت منه على الألفين من الأبيات. وتتوالى الليالي والأيام
وتشتد على أبيها وطأة المرض، ويخشى على وحيدته أن تظل في مفترق
الطرق بدون توجيه أو إرشاد، فيأكلها الزمن كما أكل غيرها من ذوى
المواهب، فيدعوها إليه، ويسر إليها وصيته الأخيرة: «عديني يارباب
وأنا على أبواب الأبدية ألا تقربي الشعر إلا بعد حصولك على إجازة
علمية حتى لا يكون نصيبك الحرمان والعال كأييك...»!

وهي الآن تجد في تحصيل تلك الإجازة، ولعابها بعد الظفر بأملها
ترجع إلى ما جبات عليه من الهيام بالشعر والأدب.

المخنن من شعرها

صفية زغلول

صفيتنا اصطفاك الشعب أما	تعادله وليس له عديل
صفيتنا إذا أشبهت سعداً	فإنكما الجليلة والجميل
لأنت اليوم من ميراث سعد	ومن ميراثه الصنع الجميل
بقيت لنا بقاء المجد فينا	وعمر المجد في مصر طويل
وجاهك مثل جاه الشمس لكن	يضيء وليس تحجبه السدول
وحدك مثل حد السيف لكن	يغل وليس يعرفه فلول

أنا . . . وأبي

أما أبي فلقـد أبي	عند القوافي غير حكـمـي
لم يأل جهداً سعيه	فن المهم إلى الـاهـم
ويظل في حل الـاخـ	ص من المشاكل والاعـم
يبـكـى على أوطانه	وينوح في نثر ونظـم
في أضلع تذكو جوى	أو أدمع في الوجد سـجـم
يقضى الـليـالى حائراً	ما بين إفلاس وسقـم
يلقى حوادثها بخـيـ	ل من عزائمه ولجـم
أحشـاؤه وجفونه	عرض لما يقذى ويدمى
لانهتدى أقلامه	بما ألم به الـرقـم

وكأناه والوجد يأخذ منه في لجات يم
وكأناه في يومه في جنح ليل مدلم
وإذا فررت إلى حماه فررت من همي لحي...!
أكلتني الأيام لو معداتها تستطيع هضمي
وطوت بها اسم العلا لو كان يطوى مثل اسمي

نخر بالعروبة

لنا العلا آمنة من عبث الزوال
لنا الوجوه المشرقا ت في دجى القسطل
لنا الجياد القب من جار ومن جوال
لنا السيوف البيض لا تخاف من كلال
لنا القنا مطرابة والخيل في تصهال
تضرب في الصدور أو يطعن في الأكفال
إننا أناس خلقوا للذود والنضال
نذب عن أوطاننا بالقول والفعال
وليس منا دونها بالنفس من بخال
من يشتر المجد له أرخص كل غال !
إن لم نصل ذرا الحى بعزمنا الصوال
ولم تكن نفوسنا دريشة النضال
ولم نسل دماؤنا سيلا على الرمال
ولم نذر ديارهم طوامس الاطلال
ولم نجر أوطاننا من جائر ختال
لنا إذن بناتكم يا خيرة الرجال

أَمْرٌ نَزَلَ

كيف أسلو وللسكون شبح
وحوالى عالم يتنذى
وحيالى من اشتباك المأسى
وفؤادى أبلته أحلامه الرو
مرعبات وللدجى أوهام
فى أضاليله فلا يلتام
غيم جد جدها وضرام
ع فأودت بسعده الآلام

إلى سنة ١٩٣٦ لم يكن أحد يعرف شيئاً قل أو أكثر عن شاعرية أم نزار، حتى أولئك الذين يعاشرونها ويحيون معها تحت سقف واحد، فإن شاعريتها لم تبج بمكنوناتها إلا في تلك السنة حين استلمت يد المنون فجأة شاعر العراق الحكيم جميل صدقي الزهاوى، ورأت أم نزار — التي لم تكن ولم يكن أحد يعلم الى ذلك الحين أنها شاعرة — أن رياض الأدب قد سكنت بلائها عن التغريد، وأن أودية الشعر قد أفقرت من راعيها، وهكذا كان تقديرها للزهاوى وشاعريته يفوق تقديرها ونظرتها إلى كل شاعر في العالم العربي، وبرز تأثرها لوفاته، وأحست رغبة ملحة في تسجيل انفعالها لهذا الخطب الذي منى به شعورها.

وإذا هي ترى نفسها تلجأ إلى القلم تبثه شكاتها، لعلمها تجد فيه مسعفا يطفى حرارة وجدها، ويشفي تبريح جواها، فخطت أنامها أياتا منها:

أجهش الشعر باكيا ينعاكا	حين داعى الموت الزوام دعاكا
وبكاك الشعب العراقي حزناً	مذ رأى منك خاليا مغناكا
يامعيداً للشرق مجداً تليداً	كاد ينسى اذكاره لولاكا
يامشيداً للفظ يعرب صرحاً	جاز في رفعة المقام السماكا

ومنها تشير إلى ربا عيائه ، ونصرته للمرأة ودعوته الحرة الجريئة
إلى تحريرها :

من لليلى ؟ وكنت ناصر ليلى ما عهدناك ناسياً لـيـسـلا
كنت حتى الجهاد توحى إليه حين تشدو ، الشعور والإدراك
ومنها تذكر سطوة الموت ، واغتياله أعلام الفكر والأدب
والوطنية :

إيه يا دهر كم نشرت شبـاكـا لاصطياد الكرام شلت يداك
كل يوم تودى بشاعر قوم ناصباً لاصطيادهم أشراكا
وتناجى الزهاوى :

أيها الراحل الذى اختار دار الخـ لد مأوى نم وليطب مأواك
إن قبراً حلت فيه مقبـا قد حوى الشعر والنهى مذ حواك
هذه هى أولى القصائد التى تفجرت بها ينابيع شاعريتها ،
وافتح بها حياتها الشعرية منذ اثنتى عشرة سنة ، وقد لقيت هذه
القصيدة إعجاباً من عشيرتها ، ورحبت مجلة « الصبح » التى كانت
تصدر إذ ذاك بإذاعة هذا الرثاء لأول شاعرة فى العراق فنشرته .

وقد شجعها هذا النشر وما رأت من إعجاب القوم على موالاة
قرض الشعر ، وإذاعته حتى اجتمعت لديها طائفة صالحة منه ، نشر
بعضها فى صحف العراق .

وأم نزار هي السيدة سلمى بنت عبد الرزاق الكاظمية ، من عشيرة عريية تنتهي إلى المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وقد ظلت الأسرة التي تنتمي إليها تقيم في الحيرة حتى أواخر القرن الثامن الهجري ، فانتقلت إلى الكاظمية من أرباض بغداد .

وفي القرن الماضي انتقل جد الشاعرة إلى بغداد إلى دار تجاور الدار التي كان يسكنها الشاعر العراقي الكبير « عبد الباقي العمري » ويقال إن هذا الشاعر هو الذي أطلق على هذه الأسرة لقب « الملائكة » فغلب على لقبها الأصلي ، وفي هذه الدار ولدت الشاعرة سنة ١٩٠٨ م وتزوجت في سن مبكرة من ابن عمها الأستاذ الشاعر « السيد صادق الملائكة » ورزقت منه بنين وبنات ألمعن الشاعرة المبدعة « نازك » التي سنذكرها فيما بعد ، وتمكني باسم أكبر أبنائها « نزار » .

ذاقت أم نزار مرارة اليتيم منذ أخذت تستقبل الحياة في الرابعة من عمرها فتعاون على تربيته ورعايتها أمها وذوو قرباها .

ولم تكد تجيد القراءة على يد مدرستها الخاصة ، حتى أقبلت على قراءة القصص الأدبي والشعر وتدوقه ، ولا سيما شعر العذريين ، والجاهليين ، وقصائد الأندلسيين وموشحاتهم ، فرويت من نبعه ، وقرأت تاريخ العرب القدامى ، وجانباً من السيرة النبوية ، وسير الصحابة .

كان الشاعر الحكيم جميل صدقي الزهاوي قد تألق نجمه وطار ذكره ، فافتتحت أم نزار برباعياته ، وقصائده الغنائية ، وأحبت فيه طبيعته الحرة ، ونظرته المحررة إلى المرأة والحياة والأدب ، حفظت من شعره كثيراً ، وتغنّت به .

وعلى هذا فإن ثقافة أم نزار ومطالعاتها عربية خالصة إذا استثنينا قليلاً من الفارسية ليس له أثر ما في طبيعتها أو طبيعة شعرها .

وإلى جانب هذا الولوع بالشعر والأدب استعداد ومواهب أدبية ورثتها عن آبائها وأجدادها ، وأخذ بيدها زوجها الشاعر الأديب الذي شجع مواهبها كما فعل بأبنائه وبناته .

* * *

إن شعر أم نزار يمثل أبرز صفاتها ، وهو الطموح الذي يبرز في مختلف نواحي حياتها ، وفي تربية أبنائها وبناتها ، وفي شعورها الوطني ، وقد يصطدم هذا الطموح بعقبات البيئة المحافظة ، والمقاييس التقليدية التي لا تزال تسيطر على المرأة العراقية وطريقة حياتها ، وأسلوب تفكيرها ، فتسجل في شعرها ما تكابد من أسى لحيولة الزمن بينها ، وبين آثار هذا الطموح وثمراته :

فإلام يا قلبي الطموح تهيم في وديان أفكار تذيق العلقما ؟
لا أنت تترك ما تروم ولا أنا أرضى بأن أصغى إليك فأسلما !
جاوزت يا قلبي الحدود ، ألم يحن لك أن تمكف عن الطموح وتسأما ؟

وقد يستحيل الطموح المكبوت في قرارة نفسها ثورة غنيقة ،
فتفيض شاعريتها بشعر حماسي صاخب ، وقد تصل بها هذه الثورة
وتلك الحماسة إلى حد التهديد والوعيد بغضبها ، فتزعم أن الدهر
يضطر إلى الاستجابة لدعوتها !

إن لي غصبة ثوب لها الدهر سر ويأتي بمنحه المكسور
خاضعاً ناكصاً يسير رويداً مستعينا بقيده المجرور
وإذا ما تأرت يوماً لنفسي أو لقومي ووترى الموتور
جئت بالهول من فعال جسام تدع الخصم في لظى وسعير

* * *

✓ كان للخطوب الجسام التي نزلت بالشرق والعروبة ، صداها
في نفس أم نزار كما كان لها صدى في نفس غيرها من شعراء العرب
وشواعرهم ، وأظهر هذه الخطوب في أيامنا ، وأبرزها في تاريخنا
المعاصر رزء فلسطين ، وما منى به هذا البلد العربي من جراء الاستعمار
الغاشم ، الذي أنشب أظفاره في هذه الرقعة من البلاد العربية ومن
جرائم هذه الشذمة من الصهيونيين الأفاقين الذين منوا أنفسهم
ومناهم الخادعون المخدوعون بتبوؤ هذه الديار العربية ، واجلاء أهلها
فتوالى جهاد العرب وكفاحهم في سبيل الحفاظ على البلد العربي
المقدس ، وتراث العروبة المجيد فيه .

ولقد كانت صيحات الشعراء لإنقاذ العرب في شتى بلادهم ،

لها أثرها في تكوين رأى عربى عام وفي جمع العرب وتعاونهم على نجدة
إخوانهم أبناء فلسطين ، وتخليصهم من العداة والخاصيين ، فاستحال
الشعور حربا شعواء وقرعاً بالسيف والسنان ، بعد الحجّة والبيان .

ولأم نزار في فلسطين قصائد عدة ، هاك نموذجاً من إحداها :

حادث فيه للعروبة ذل بعد عز قد طاول الاحقابا
أفترضى الليوث أن يطأ الغابا ب عدو فيستبيح الغابا ؟
أفتقضى أشبال من ملكوا الارض وهزوا العروش والاقطابا ؟
لا ! وحق الاوطان ان يسكنوها عنوة إن سعيهم قد خابا !
ان ينالوا من أرضنا قيد شبر أو تذوق العرب الحام شرابا

وهاك من قصيدة غيرها تبلغ زهاء مائة بيت ، وهى تفيض
بالذكريات الخالدة ، والعاطفة المتأججة ، وحب العروبة المشبوبة بين
جوانحها ، استمع إليها تناجى نفسها :

رددنى نعمة العلا والخلود فى ديار الإسراء أرض الجدود
رددى للبقاء لحن الأمانى أنت أولى الشادين بالفرغيد
رجعني نعمة لقد طالما سرنا على وقعها لفتح جديد
وقعها نخورة نغمات منعشات تفوق عزف العود
نغمات كأنها لأسانا بلج الصبح بعد ليل مديد

ومنها فى وحدة العرب واجتماعهم على تخليصها من يد الأعداء :

وانثرى أجمل الزهور على تر ب فلسطين موضع التوحيد
وانثرى لاذ بنوك فيها تواصوا أن يضمنوا بعزك المعهود
أقسموا لا ترى فلسطين ذلاً أو تكون الأشلاء ملء البيد
ومنها في مناجاة الرسول الأعظم:

يا رسول الهدى أجر قدسك السامى وأنقذ مسراك من تهديد
فلكم في ديار مسراك بؤس وشهيد يروح إثر شهيد
وانصباب العذاب يا منقذ العرب ب رمى العرب في شقاء مييد
خرقت حرمة البراق، وريعت بجيوش من كل عات مرید
واستحالت أرض السلام ميا دين حروب بين الهدى واليهود

* * *

ومن الطبيعي أن تعبر شاعرة صافية النفس، مرهفة الحس،
كأم نزار بنات جنسها جانباً من عنايتها، فدعت المرأة العربية إلى
الكفاح في سبيل حياة حرة، تخدم فيها نفسها وقومها، وتنفض عن
كاهلها غبار العصور المظلمة، فتكسر القيود، وتحطم الأغلال.
وقد عرفت أن هذا الغرض كان من أثر إعجابها بشخصية الزهاوى
وشاعريته.

وقصائدها في هذا الباب تقع في قسمين: الأول هو الذى ذكرت
فيه المرأة العربية بماضيها المجيد، وأشادت بها ليكون من هذه الإشادة
حث على العمل، للنهوض مما تردت فيه، ومن هذا اللون هذه الأبيات:

ذات فضل وعفة وجمال وجلال ما بعده من جلال
ذات عزم ورقة واشتياق لا عتناق الهدى ، ووصل المعالي
أحرزت كل ساميات المزايا وخلال السكال خير الخلال
رجحان في عقلها لا يضاهي وسمو في قولها والفعال

والقسم الثاني هو الذي صورت فيه حاضر المرأة العربية ، بين
الجهل والزيف ، والعناية بتوافه الأمور ، فتضيق بجمودها ، وسكوتها
على الجهل ، وتهالكها على المظاهر الخداعة قالت تخاطب بنات قومها :

رضيتن على الأسر فمتن مدى العمر
وأمتعنت في الصبر على غائلة الدهر !..

متى تعملان الإفلا ت من أسر الشقا العاني ؟
متى تفخرن بالماضي متى تبسمن للآتي ؟

ألفنا الضعف وارتحننا أبـلوانا رضىيات
فلم نهو من الدنيا سوى ثوب و مرآة

فهيأ للهدى هيا إلى النهضة كي نحيا
إلى النهضة والعليا لكي نبليها سعيا

وإلى جانب هذا النتاج الشعري في الاجتماعيات والوطنيات ،
طائفة من القصائد صورت فيها مشاعرها الخاصة ، إزاء الطبيعة
والفن والحياة .

تقرأ في إحدى قصائدها « نفسية العجر » تصويراً منقطع النظير

في الأدب العربي لأنها تعالج إحدى الحالات النفسية الشاذة ، فتصور الليل ، وبرده القارس ، ورياحه العاتية ، ونجومه اللامعة في الشتاء ، ثم تصف فتاة نورية ، عضها الفقر ، وآذاها القر ، فلها صادفت داراً تحترق ، لم يرعها هول ما ترى - كما تشعر النفوس الحية - بل ثارت في نفسها غريزة حب الانتقام ، وسرت في نفسها نشوة الشار على يد الطبيعة من أعدائها الناعمين المترفين ، فبدأ عليها السرور لما ترى من آثار الدمار ، وأنات المكلومين ، ودنت من اللهب تصطلي به فرحة هاتفة :

منظر النار في الشتاء جميل وهي من أبرع الهبات السنية
يا هنائي! فالدفء لي قد أتى فلتندم هذه القلوب صلية !

ولها في الطبيعة قصائد قليلة ، تصف فيها شعورها نحو ما تراه من مظاهرها ، وإن كانت لا تصف الطبيعة نفسها ، وهذه هي الصفة البارزة في شعر أم نزار ، فهي قلما تصف الأشياء كما تبدو ، أو كما تحب أن تكون ، وإنما تصفها كما تحس بها ، كما تقول في قصيدة عنوانها « الزهرة الملهمة » :

يا زهرة أنعشني	أريجها المعطر
سحرتني وإن رو	حي بالجمال تسحر
آنست قلبي فغدا	بالقرب منك ينضر
يعل من شهدك عذ	بأ أين منه السكوثر ؟
مرفرفا حول الأما	ني والاماني تأسر
خفت الروح إلى	محرابها تكبر ..
تستقبل الإلهام وه	و من سماك يقطر

ولعل أم نزار تقدم إلى المطبعة في وقت قريب ديوان شعرها ،
فتسدى بذلك خدمة جليلة للأدب العربي المعاصر ، ومؤرخي نهضته
كما فعلت ابنتها ، عاشقة الليل ، نازك الملائكة .

المخنار من شعرها

المذياع الصامت

« أم نزار من المعجبات بأم كلثوم ، وقد توقف المذياع في أثناء إذاعة إحدى
حفلاتها الغنائية ، فأثارها ذلك ، وأوحى إلى شاعريتها هذه القصيدة . . . »

أيها الصامت المعذب روحي	بعد ما كنت مؤنسى وسميري
هاج لي صمتك الحزين شجوناً	مبهات فغاب عني سروري
ودهنتي الأوهام تبعث في آلاف	ق صنوفاً من العذاب المثير
أنأسى بالقرب منك ، لعل القر	ب شاف من لوعتي وسعيري
أرهف السمع والفؤاد يناجي	ك مروعا وأنثى بالقفور
وأمنى النفس التي فاتها الصب	ر بلحن من صوتك المسحور
أنقل البحث ساعدي وأضئ الجم	د قلبي وكذني تفكيري
علني أستطيع عرفان سر	غاب عني فتحت في ديجور
ليت شعري ماذا دهاك فأثر	ت اكتنأني بعد الرضا والحبور
وسجاً الليل واعتكر * وتغنيت بالسهر *	أجهد القلب بالفكر
كيف أسلو وللسكون شبح	مرعبات وللدجى أوهام ؟
وحوالي عالم يتنزي	في أضاليه فلا يلتام
تتأوى فيه النفوس فتتها	ر الأمانى وللمنايا ازدحام

وعلى الافق حمرة تترامى وعلى الارض من بينها ركام
 وحيالى من اشتباك المآسى غمم جد جدها وضرام
 وفؤادي أبلته أحلامه الرو ع فأودت بسعده الآلام
 وسميري الغريد ماذا دهاه فتعابى ، فمات فيه الكلام ؟
 ففسر بلت بالوجوم ومل البشـــــر لحنى ، نخافنى الإلهام
 كيف بي لو أطل غريدى الصمم ت ، وأوفى عليه داه عقام ؟
 وهو ناي ومزهرى * ونديعى ومخبرى * بأمانى معشرى
 صاحب ثابت الولاء وفى دون إخلاصه وفاء الصحاب
 ثابت الود لا يمين فيكم لى فى اصطحابيه من هوى ورغاب
 ليس ينفك مغدقا حولى البش ر مشتأ سآمتى واكتئابى
 كم صحارى قطعتها بجناحيه ! وكم جزت عرض طاغى العباب !
 والاهازيج ! يا لسحر الالهة زيح ! وإرنا نجرسها الخلاب
 تتوالى مزامراً وتسايـــــح ح ، فتغذو الفؤاد بالإطراب
 منهل سائف المذاق فرات كم روى غلى ، فراق شرابى !
 جف سلساله الشهى فيا للقلـــــب من لوعة الظما والعذاب !
 فأنا بين وحدتى * وسكونى ولطفى * رهن شجو وحيرة !

الفـــــراشة^(١)

« الفراشة تولد عندما يولد الربيع ، وتموت عندما يموت الورد ... » (لامرتين)

(من أحدث شعر أم نزار ، وأنضجه ، وأدله على استواء
 شاعريتها ، ولهذا آثرنا نقل ما استطعنا من هذه التحفة)

وافى الربيع يفيض بالحسنى فازدان وجه الارض وافتنا
 وكسا الخائل من غضارته بعد الجفاف غلالة حسنا
 ثوب اخضرار يانع بهج وشى الجنائن فازدهى المغنى

أهلاً بمقدمه الجميل فقد
 للحسن في الأرواح منبثق
 والحسن فتان إذا انبعثت
 يوحى الفنون إلى النفوس وفي الـ
 الفن روض ناضر عبق
 للفن إلهام يحبه
 تسمو به الأرواح لابسـة
 وهل الفنون سوى الطبيعة في
 من وحيا هذا الربيع بدا
 فالروض حال راقص طرباً
 هي زهرة راقـت نصارتها
 قبست صفاء الورد إذ رشفت
 وازينت بحلى مزخرفة
 لم أدر إذ رقت غلائلها
 كلتاها زهراء ناضرة
 مرت على الأزهار آونة
 تبدى المباهج في خمائلها
 كالخور في الأفنان معلنة
 والدوح قد مالت لها طرباً
 دنيا بشعر البشر باسمـة
 والدرر يا للدرر! كيف غفا
 عجباً! أأعشى النور ناظـره
 أحيا الرياض، وأغدق الحسنـا
 يسنى الحياة، ويأهم الأمانـا
 أنواره من مهبط المعنى
 ليحيا روح ينعش الفنا
 والوحى من أغصانه يحنى
 نغم رفيع كلما رنا
 ثوب السرور وتخلع الحزنـا
 منح الحياة تزخرف الكونا؟
 فيه جمال الزهر مفتنا
 والموج من أفراحه غنى
 فسمت بها في الجو منتشرة
 نواره فتمايست عطـره
 أخذ السنـا من حسنـها غرره
 أهي التي فاقت أم الزهره ؟
 فتانة بالسحر وثرره
 عاشت مغردة بنضرتها
 والارض قد غمرت بخضرتها
 أفراحها نشوى كدفوتها
 أعناقه ترنو لفنـتها
 والقلب خفاق لبسمتها
 عنها ؟ ألم يشعر بهجتها ؟
 فتوى أم استخذى لروعتها ؟

كلا! فما للدهر من كبد تهفو فيسهردي بلحمتها !
 يقظان يافى تارة ويرى حيناً كأفعى عند غفوتها
 هو ذلك العاقى ، فيكم دثر كيفاه جنات برمتها !
 عطف الطبيعة لا دوام له فالسعد ممزوج بشقوتها
 والجنة انعام ليس لها من منقذ يقوى لنضرتها
 كم راعها صوت النذير وقد كاد الأسى يودى بهدأتها
 بينا ظلال السعد وارفة والطير صادحة بنغمتها
 هبت سموم الريح محرقة كالنار قد عرفت بقسوتها
 قطعت صفاء الورد عابثة بجنانه الزهرا وجدتها
 ورمت بأوراق الزهور على الـ -غبراء لا تعنى بحسرتها
 أين الفراشة ؟ أين بهجتها أو أنبات بذبول زهرتها ؟
 يا حزنها ، أنى تروق لها الد نيا وقد صليت بحرقها
 عهدى بها ولهى بزهرتها أو لم تزل تسعى لجنتها ؟
 كلا ! فإن الصبر فارقها فثوت مضرجة بلوعتها
 ذرفت على الأزهار دمعها فتحرقت بلظى حشاشتها
 نشأت مع الأزهار وادعة نشوى فهل تنها بوحدتها ؟
 واستأثرت بجني الزهور فلا عجب إذا ماتت كميةتها
 إن الحياة صفاؤها كدر يأنى على مقدار لذتها
 تشجى الشغوف بها فتصرعه بمزيج شهد من عصارتها
 والموت إن عز السلو على الـ -أرواح يصبح من سعادتها



نُزْلُكَ

عَاشِقَتُهُ اللَّيْلُ

شاطرته	مبعد	سميح	تائهة	والحياة	بحر
والصمت	تحت الدجى	عميق	تائهة	والظلام	داج
من قبل أن يخبو	البريق !		يا زورقي آه لو	رجعنا	
تجمد من هوله	العروق !		انظر حواليك	أى نوء	

من أسرة الملائكة التي ذكرنا في كلمتنا السابقة، وفي أحضان أبوين شاعرين هما الأستاذ صادق الملائكة، والسيدة «أم نزار»، نشأت نازك ألمع درة في جبين الشعر النسوي في العراق في العصر الحديث.

ولتفاوت الزمن حسابه في التفرقة في النشأة بين نازك وأماها، فعلى الرغم من نشأتهما تحت سقف واحد، ووحدة العوامل الخاصة في تكوين كل منهما، والتقارب في العمر بينهما، إلا أن هناك اختلافاً أملاه الفرق الزمني — مع ضآلته — بين الأم وابنتها، فإن مولد أم نزار سنة ١٩٠٨ ومولد ابنتها نازك سنة ١٩٢٣ يجعل الفرق بينهما في العمر خمس عشرة سنة، وهذه المدة الضئيلة التي لا يحسب لها حساب في تاريخ الأمم وتربية الملكات تبدو واضحة الأثر في تاريخ النهضة العراقية الحديثة، فإن البون شاسع بين حال العراق اليوم وحاله منذ ربع قرن، ولا يكاد العراق يقاس بغيره في هذا المضمار!

وكان من جراء هذا الخلاف أن أتيحت لنازك فرص لم تتح لأماها، فقد أنشئت في العراق مدارس خاصة للبنات، يلجنها منذ الطفولة حتى نهاية المرحلة الثانوية، وسمح للفتاة في الدراسة العالية أن تجلس مع الفتي جنباً لجنب يتلقيان العلم، ويتجاذبان أطراف الحديث في فنونه،

وضاقت الهوة الواسعة ، وحطمت الحواجز التي كان يراها الفتى العراقي تحول بينه وبين الفتاة العراقية .

وبعد أن كان التعليم في مدارس البنات يكاد يكون وقفاً على الإناث ، أصبح يشار كهن في ذلك عدد من الذكور المختارين ، وكانت الفتاة العراقية من ذوات اليسار قبل ذلك يستحضر لها في منزلها المدرسات اللاتي يتولين تثقيفها بآثار الثقافة القديمة ، ومن لم تستطع بُقيت تعاني إيسار الجهل .

وقد اقتحمت نارك ما فتحته الحياة من أبوابها ، وانتفعت بما أتاحتها الأيام لمشيئاتها !

ففي مستهل عامها الخامس أدخلت إحدى رياض الأطفال التي كانت الحكومة تشرف عليها وتعنى بها عناية خاصة ، وقد مرت أيام الطفولة الحلوة بذكرياتها الجميلة وسداجتها العذبة ، ولم تحتفظ شاعرتنا من هذه الذكريات بغير صورة من صور الطفولة في لهوها الساذج البريء ، فتبدي حنينها إلى أمسها الذاهب ومجلسها فوق كشبان الرمل التي كانت تعبت بإقامتها :

أعبر العمر كله نحو أمسى ويعود الشعور بي للتلال
مجلس فوق تلى الحلو وحدي أو شرودي بين الشذى والظلال
ثم تتمثل تل الطفولة عرشاً ، فمذ انزوى عن عينها لم يلبث أن

عاده تلا ، كما كان ، وكان الأخرى أن تظل صورته كما سجلتها
مخيلتها عرشاً ، حتى يبقى له الأثر الذى انطبع ويسلم لها المعنى الذى تريد ،
ثم توازن بين حالها الراهنة ، وأمسها الذاهب فتناجى تل الرمال
فى شعر عذب دفاق :

إيه تل الرمال ماذا ترى أبقيت لى من مدينة الأحلام ؟
انظر الآن ، هل ترى فى حياتى لمحة غير نشوة الاوهام ؟
آه تل الرمال ! ها أنا مثلما كنت فارجع فردوسى المفقودا !
أى كيف أئيمة سلبت رملك هذا جماله المعبودا ؟
كنت عرشى بالأمس يا تلى الرمل ، والآن لم تعد غير تل
كان شدة الطيور رجوع أناشيدى وكان النعيم يتبع ظلى
كان هذا النعيم مملكتى الكبرى ، فياليتنى أعود إليها !
ليت هذى الرمال تسترجع السحر ، وليت الربيع يحنو عليها !

وتحفظ من ذكريات هذه الأيام العذبة الحلوة صديقة اصطفتها
وآثرتها من بين أطفال الروضة بحبها ، وإن كانت الأيام فرقت بينهما ،
إنها تذكر صديقة طفولتها « كامله » وإن كانت لا تعرف عنها الآن
شيئاً غير اسمها وحده ^(١) :

ومعى الطفلة الصديقة نبنى فوق وجه الرمال عرش الخيال
عمرنا قصة ، ولحن لغنية ، وقلبان فى نقاء الرمال

(١) عاشقة الليل : ذكرى مولدى ، ص ١١

وتتساءل في لوعة عن مصير رفيقة الأمس ، وعما إذا كانت قد نسيت ودادهما القديم ، أم لا يزال شاخصاً خالداً :

أين أصبحت يا رفيقة أمسى ؟ ما الذى قد شهدت فوق الوجود ؟
أترى تذكرين مثلى أيا م صابنا ، وحلمنا المفقود ؟
أم ترى قد نسيتنى ونسيت الـ س في فرحة الشباب الرغيد ؟
أبدأ لست أنسى وإن كنت تهاويت في الزمان البعيد !

هاتان هما الصورتان اللتان احتفظت بهما نازك من ذكريات
حداثتها ، وإحدى هاتين الصورتين كما ترى حسية ، هى صورة التلال
التي كانت تلهو بها ، والأخرى معنوية ، هى صورة الصداقة الأولى .

أتمت نازك دراستها الابتدائية ثم الثانوية ، ولحقت بدار المعلمين
العالية ، وتعد السنوات التي قضتها في تلك الدار مرحلة النضج والتزود
من الثقافة الناضجة ، فحصلت على إجازتها في آداب اللغة العربية ، وكانت
في أثناءها تغذى نفسها بالقراءة والاطلاع على الأدب العربي قديمه
وحديثه ، كما تمكنت من اللغة نحوها وصرفها وبلاغتها في الدروس
التي كانت تتلقاها ، وفي المكتبة الخاصة التي كان أبوها يعنى بتزويدها
بكل مستطرف من العلوم والآداب ، إلى جانب ما تحوى من مراجع
في أصول اللغة والأدب ، وأضافت إلى هذا الزاد العربي معرفة واطلاعاً
على آداب اللغة الانجليزية .

وفي هذه المرحلة أيضاً نبئت شخصيتها ، فاستطاعت أن تصوغ

الشعر ، ورأت إعجاباً من المصغين إليها واستحساناً إذا هي ألقت بعض ما تجود به شاعريتها في مناسبات عارضة ، وتشجيعاً من الصحافة على نشر ما ترسل إليها ، وإذاعته في قرائها ، فنشرت لها صحيف العراق وسورية ومصر ، وكان لهذا صداه في إرهاف شاعريتها ، وشجذ ملكتها ، ثم كان له أثره في تقديم ديوان شعرها الأول «عاشقة الليل» إلى المطبعة ، فتلقفه الأدباء معجبين بهذه الباكورة البارعة .

وإذا كان الشعر فناً من الفنون الجميلة التي حلقت فيها نازك وبرعت فإن فنوناً أخرى كان لها حظها وأثرها في حياتها ، فقد شبت وفي نفسها تعلق بالموسيقى ، وهي تجيد العزف على المزهر ، وتقضى أوقات فراغها في مناجاته ، كما كانت تختلف إلى معهد الفنون الجميلة لتعلم فن الموسيقى ، ومعرفة أصوله ، وتعجب بالحنان الموسيقى « تشيكوفسكى » ، وقد أهدت إليه قصيدتها « أنشودة الأبدية » ^(١) وإعجابها به غير مقتصر على موسيقاه ، بل على شخصيته الإنسانية النبيلة كذلك . كما كان لها مثل هذا الولوع بالرسم والتصوير .

إن شعر نازك في مجموعتها الأولى « عاشقة الليل » صورة نفسها ، رسمتها في هذه القوالب الشعرية !

(١) ديوان عاشقة الليل . ص ١٠٩

فإذا قلنا إن « نازك » تتلقى الحياة بتجهم غريب ، فذلك ما نقرؤه
في أكثر قصائد هذا الديوان ، وإذا قلنا إن فيها انقباضاً ملحوظاً ،
وأن حياتها تغشينا سحابة من الكمد ، فإن أثر هذا الانقباض عن الحياة ،
والحجزة عن الناس ، والصدوف عن مجتمعاتهم بادية ملحوظة في هذا
الديوان التي تستفتحها الشاعرة بهذه الأبيات :

أعبر عما تحس حياتي وأرسم إحساس روحى الغريب
فأبكي إذا صدمتني السنين بخنجرها الأبدى الرهيب
وأضحك مما قضاه الزمان على الهيكل الآدمى العجيب
وأغضب حين يداس الشعور ويسخر من فوران اللهب

ولا تزال تنتقل بين قصائد الديوان ، فإذا أنت لا تكاد تجاوز
هذه الدائرة التي رسمتها نازك لنفسها ، وصورها الشعر في هذه الصورة
الحائلة القائمة التي اتشحت بها ، ونقف هنا متسائلين عن علة العلل
في هذا التجهم الغريب في وجه الحياة ، أو عن « إحساس روحها
الغريب ! » كما تقول ، مع أن الشاعرة تستقبل ربيع الحياة في شباب
مزدهر ، ومع ما يحبوها أبواها من البر والعطف والتدليل .

كانت نازك أول عقب لهذين الأبوين ، فأسبغا عليها ضافى
حنانهما ، وسابغ حبهما .

والواقع أن هذا البر بها ، وتلك الحفاوة بتربيتها تربية حديثة
مستهدفة لاستنكار المجتمع الذي نشأت فيه إذ ذاك ، جعل هذه الشاعرة

تنشأ نزاعة إلى الاستقلال في تفكيرها، صادقة عن المجتمع الذي نشأت فيه شديدة الاعتداد برأيها، اذا اقتنعت هي بصحة هذا الرأي، فنشأت مرهفة الحس تؤذيها اللفظة، وتوجعها الإشارة.

وكذلك كانت نشأتها الأولى في بيت حافل بالسكان من أهل أبيها، وما يضطرب بين جدرانها من الصخب والضجيج، كانت هذه النشأة سبباً في انقباض نفسها، وميلها إلى العزلة والسكون، والإخلاد إلى كتاب تنظر فيه، أو مزهر تبثه وتناجيه، أو شعر تنظمه وتستوحيه وشاعرة مثل نازك في مثل ما ذكرنا— وقد ربيت على الدعة— لا بد أن تصطدم مشاعرها بما ترى وما تحس مما لا يطابق نظرتها إلى الحياة، أو يصطدم مع مثاليها العليا.

وتمت سبب آخر من أسباب هذا الانقباض، هو أن شاعرية نازك ابتدأت تكتمل وتؤتى أكلها في وقت هزتها أحداث خاصة، وأحداث عامة، أصابت الإنسانية، وقد أدت هذه الأحداث مجتمعة إلى النظرة القائمة إلى الحياة وما فيها.

أما الأحداث الخاصة التي كان لها هذا الأثر، فهي أنها قد منيت في ظروف متقاربة بموت ثلاثة من أعز أقاربها، فأثر فيها هذا الخطب وليس شيء أدعى إلى الفرع من الموت وتذكره عند من يستقبلون الحياة، ومن تداعبهم بروق آمالها الخداعة.

وتضئها الحيرة فى الوقوف على كنه الحياة ، فتثير شاعريتها ، كما
أثارت كثيراً من الشعراء والمفكرين ، فتجد فى إزاحة السدول
عن مجاهل الحياة ، وأسرار الموت وما بعده ، ومظاهر الكون ،
ويعذبها الشوق الى المعرفة :

تأمة	والحياة	بجر	شاطئه	مبعد	سحيق
تأمة	والظلام	داج	والصمت	تحت الدجى	عميق
يا زورقي آه	لو رجعنا	من قبل أن	ينخبو	البريق !	
انظر حواليك	أى نوء	نحمد	من هوله	العروق	

* * *

ماذا وراء الحياة ماذا أى غموض وأى سر ؟
وفيم جئنا ؟ وكيف نمضى ؟ يا زورقي ، أم لآى بحر ؟
يدفعك الموج كل يوم أين ترى غاية المقر ؟
أجرى كما ترسم المقادير لى إلى حيث لست أدرى !
هذا أثر الموت فى نفسها ، وأثر الغموض الذى تحاول أن تزيله ،
وأن تزيج سدوله ، وهو أثر يبعد جداً فى اليأس ، حتى أنها لتؤثر بل
تتمنى أن لو رجع بها زورقها ، كما رأيت قبل أن تصدمه الأنواء
وتدفعه الأمواج !

ومن هذه الأحداث الخاصة تصدع الدار القديمة التى قضت فيها
نازك سنوات طفولتها ... الدار التى غادرتها حينما بلغت الثامنة
من العمر ، ولكنها ظلت تحمل لها فى قابها أعمق الذكريات .

وفي هذا الحين روع العالم أجمع بالحرب الطاحنة التي كانت أخبار
هولها تغشى العالم ، فتذيب القلوب وتفتت الأكياد ، قلوب أكثر
الناس قسوة ! فما بالك بوقع هذه الخطوب في نفس فتاة ناعمة وادعة ،
لها عاطفتها المشبوبة ، وإحساسها المرهف ؟

هذه الأحداث مجتمعة هي التي صبغت « نازك » وشعرها بهذا
اللون القاتم الحزين ، وهي أحداث تنتهي آثارها بانتهاء أسبابها ، ولكن
العجيب أن تزول هذه الغمرات ، وتنقشع السحب ، ولا يزال لها
الأثر البعيد ، والصدى العميق في إحساسها ومشاعرها .

وبقاء هذه الآثار يؤيد أن في طبيعة نازك هذا الاستعداد العجيب
للألم ، فهي لا ترى في الوجود شيئاً يمكن أن ينيلها السعادة التي تحلم بها ،
فتغرق في التشاؤم ، وتسرف في السخط . وهي تحس إنكار الناس
لهذا الإغراق في السخط :

قد وصفت الشقاء في شعري البيا كي وصورتي أنفاس الاشقياء
وشدوت الحياة لحناً كـمـيئياً ليس في ليله شعاع ضياء
فأنارت كآبتي عجب النسا س ، وحاروا في سرها المجهول
مادروا أنني أنوح على ما سأتهم في ظلامها المسدول !

ثم تهزأ من الإنسان يشعل نار الحرب على أخيه الإنسان ، وهو
يظن أنه يحقق بهذه الحرب أحلامه في السعادة ، وليس يكسب

في النهاية غير الحسرة والألم ، وهيئات أن تمكنه الحياة من السعادة
التي منى نفسه بها :

فيم هذا الصراع بأيها الاحياء ؟ فيم القتال ؟ فيم الدماء ؟
فيم راح الشبان في زهرة العمى ؟ رضحايا ؟ وفيم هذا العداء ؟

أهو حب الثراء ؟ ياعجب القلب . ب ! وما قيمة الثراء الفاني ؟
في غد رحلة ! فهل يدفع الاموات بالمال وحشة الاكفان ؟

انظروا . ها هنا على الشوك والرمى لئلى ثوى الاغنياء والمعدمونا
أى فرق ترى ؟ وهل غير صمت الموتى فوق القبور والراقدين ؟

نشوة النصر ؟ يا لسخريه الالفا ظ ! يا للأوهام ! يا للضللال !
أيها الواهمون حسبكم وهما وهبوا من الكرى والخيال

نحن أسرى يقودنا القدر الاءمى إلى ليل عالم مجهول
ليس منا من يستطيع فككا ليس منا غير الاسير الذليل

هكذا الموت غالب أبد الدهر ، ونحن الصرعى الضعاف الحيارى
وله النصر والفخار علينا فاندبوا ما دعوتوه انتصاراً ..

وتلتفت نازك نحو المجتمع الإنسانى الذى يحيط بها ، لعله يحى
في نفسها شيئاً من الأمل ، ولكن هذا المجتمع كما تراه لا يستجيب لها ،
وما يزال سادراً في تخبطه ، مستخفياً بالمثل العليا ، وهيئات له أن يفىق
من سكرته .

أو لعل نواميس الحياة التي تهب الحياة فيحس الإنسان بها ثم
سرعان ما تسلب ما وهبت ، هي التي أوجدت هذا اللون الغالب من
فلسفة الألم عند نازك . . . وليست الحياة إلا آمالا ، ويأتى الموت ،
فيقضى على هذه الآمال ، وليس ما يشحنها وما يحميها ، وليس ما يرضى
الطموح ، فتستعجل شاعرتنا النهاية ، وتهزأ من أمانى الإنسان
ومطامحه ، وهو رهن بالموت يدعوه متى شاء !

وهي تذكر أنها أصيبت بحمى شديدة ملأت نفسها ضجراً ، ولم
تستطع وهي في هذه الحالة أن تتأوم شعور التشاؤم واليأس الذي
طغى عليها ، وتذكر مرة أخرى أنها رأت شبح الموت في منامها ،
فأقض عليها مضجعها ، بل أقض عليها حياتها :

✓ أى معنى لطموحى وزجائى شهد الموت بضغفى البشرى
ليس فى الأرض لحزنى من عزاء فاحتمدام الشر طبع الادمى
مثلى العليا وحلى وسمائى كلها أوهام قلب شاعرى
هكذا قالوا فما معنى بقائى ؟ رحمة الأقدار بالقلب الشقى !

وقد تقرأ هذه الآيات فيما تقرأ من الشعر الحزين الذى فاض

به الديوان :

كم فى سكون الليل تحت الظلام رجعت للماضى . . وأيامه
أبحث عن حبي بين الركام فلم تصدنى غير آلامه

لم يبق شيء غير حزنى المير بقية من حبي الذاهب
وذكريات من صباى الغرير ساخرة من وجهى الشاحب

فتقف لتتحمس هذه الذكريات .. ما هي؟ وهذا الماضي ما كنهه؟
ولكن سؤالا قد يضطرب في خاطرك عن هذه الآلام الجارفة
في حياة فتاة في منتصف العقد الثالث كيف غشتها هذه الظلمات؟ ثم
هل قضى كل أمل في تناسي هذه الآلام؟

لا شك أنك تعجب ولن ترى جواباً غير ما تجد من آثار حدة
المزاج، وثورة العاطفة:

لم يبق إلا ثورة واحتقار ملء حياتي المرة الحاملة
النار ذابت وتبقى الشرار تشربه أحلامى الواهمة
وغاية ما نستطيع من القول في هذا اللون أنها الحيرة في حل
ألغاز الكون وفك طلاسمه ومعمياته والموت والحياة:

ضاق يا صياد في عيني الوجود يا لكون سره لا ينجلي
كل ما فيه إلى القبر يقود ما الذى يبقى لنا من أمل؟
وقد تعجب إذ تقرأ هذه الأبيات بل هذه القصائد التى تفيض
حزناً وأسى، وتقرأ فيها صورة اليأس من الحياة ماثلة جاثمة، ثم تقع
عينك على هذا الشعر الذى ينم عن الثورة، ويفصح عن التمرد:

وقفت أمام الشمس صارخة بها يا شمس مثلك قلبى المتمرد
قلبي الذى جاز الحياة طموحه وعيابه الماضى، وضاق به الغد
مهلاً ولا يخذلك حزناً ثائر فى مقتلتي ودمعة تنهد
فالحن صورة ثورتى وتمردى تحت الليالى والألوهة تشهد

إن الشمس رمز الحرارة والدفء ، ورمز الإشراق والنور ...
إنها رمز الحياة وصورة الخلود الدنيوى ، وما كان لها أن تقاس
بالقبور والظلام والموت .

وما كان لليأس والقنوط أن يحيا مع الثورة ، ويلتقى بالتمرد اللهم
إلا أن تكون الشاعرة قد أحست بالنفور مما دأبت عليه شاعريتها ،
وما طبعت به شخصيتها .

أجل ! إن هذه الألوان القائمة ، وهذه الآلام العارمة ، لتجد متنفساً
فى بعض القصائد ، فتجد شاعرة أخرى محبة للخلود ، محبة للحياة ،
حريصة عليها ، جازعة من الموت إذ أبصرت نفسها بين فكيه ^(١) :

هأنا .. بين فكي الموت .. قلباً لم يزل راعشاً .. بحب الحياة !
وعيوننا ظمأى إلى متع السكون . . . تناجى مفاتن الأمسيات
لم أزل برعماً .. على غصن الدهر .. جديد الاحلام والامنيات
فخرام ياموت أن تدفن الآن شبابى .. فى عالم الاموات

وهى جد مشفقة على نفسها من هول المصير الذى انتهى إليه
غيرها ، فتتساءل فى ألم ممض عن مصيرها ، أ يكون مصير أولئك الذين
طواهم الزمن ، ولقنهم القبور ، فغدوا ذكرى بعد أن كانوا حقائق ماثلة ؟

وأنا يا حياة .. ماذا سألقى ؟ هل سأغدو لفظاً جفته المعانى ؟
هل ستطوينى الليالى وتلقى .. فوق عمرى .. دياجر النسيان ؟
وغدا يطفىء الزمان سراجى .. ويضيع الردى صدى الحانى ؟

(١) ديوان عاشقة الليل : بين فكي الموت . ص ٢٥

ثم أغدو بين التماثيل تماثلاً . . ؟ وأحى من الوجود الغاني ؟
 آه لا ! لا أريد ! . فلترحم الأيام دمعى وشقوقى واكتئابى
 وليكن من لحنى الحزين صدى باق . . بسمع السنين والاحقاب
 رحمة ! . لانكن دموعى الدفوقات رثاء مبركراً . . لشبابى
 وليسجل على ضريحى ما يبقى حياق . . وإن أكن فى التراب ! ^(١)

إن هذا الذى أنكرناه ، وأنكره الناس من نازك ، وأشفقنا على
 شبابها الغض من التمداد فيه ، لم تكن شاعرتنا أقل إنكاراً له ، وإشفاقاً
 على نفسها من جرائره وهذا حنينها إلى السعادة ، فى قصيدتها ، « أشواق
 وأحزان » ^(٢) تأكيد لهذا الذى أسلفنا ، وإشعار بتطلع الشاعرة إلى حياة
 جديدة فيها كثير من الصراحة ، وكثير من الحرية التى تتيح لها أن
 تقول ما تشاء كما تشاء ، وفى الأبيات التالية تصرح بوجودها على ما مر
 من أيامها بين الأشواق والأحزان :

كيف مرت أيامنا ؟ كيف مرت . بين فك الأشواق والأحزان ؟
 ملء قلبى وقلبك الحب والشوق . . ولكن نلوذ بالكتمان !
 كلما حدثتك عيناى عن حبي . . أعاقب عيني بالحرمان !
 كيف يا شاعرى كتمنا ؟ . . . ولم يعص كيوبيد قبلنا عاشقان ؟
 ثم تبدى ضيقها بالكتمان ، وبالكبرياء التى تتصنعها فتخفى وراءها
 حقيقة شعورها :

(١) ديوان عاشقة الليل : التماثيل . ص ٧٤ .

(٢) ديوان عاشقة الليل : ص ٦٣ .

يا نشيدى .. متى ستأتيك الحانى .. فتصغى إلى هتافات حى ؟
فيم أفضى الايام أكنم أشواقى .. وقد ضاق بالعواطف قباى ؟
أبدأ نلتقى فأعرض حيرى .. ولقباى السكيب أشواق صب ..
إنها الكبرياء .. تمتلك الروح .. فيبدو المحب غير محب

هذه قصيدة من أصدق قصائد الشاعرة على صدق شعورها ،
وحقيقة حسها .

ولعلك إن قرأت هذه الأبيات وتدبرتها ، تقرنى على أن تغييراً
يسيراً إذا أجرى فيها ، جعل الكلام واضحاً مستقيماً ، من حيث الوزن
الشعرى ، وكان معناه أكثر جودة ، وأصدق تعبيراً ، وأكبر الظن
أن شاعرنا قد صاغته على الوجه الذى نزع أو نقترح ، ثم حال التردد
ومراعاة الدقة فى الألفاظ ، وحساب البيئة ، حال ذلك بينها ، وبين
ما تريد !

إنها كلمة يسيرة تفتح بعض هذه المغالق ، وتحل شيئاً من المشاكل
التي تواجه من يدرس شعر نازك .

إن كلمة « يا حبيبى » بدل « يا نشيدى » ! تجعل مطلع البيت ملتئماً
مع آخره ، فيكون صدق التعبير دليلاً على صدق الشعور ، أعتقد أن
نازكا تقرنا على هذا التغيير اليسير ، وما أعتقد أن عليها شيئاً فى هذا
الإقرار ، فإن سياق القصيدة يرضاه ، بل يتطلبه ويتمناه !

« ويبدو لنا من بعض تعابيرها ومن الروح السارية فى شعرها

أنها متأثرة بشعراء الكتابة مثل الشاعر « كيتس » ، الإنجليزي ، على أن براعتها ظاهرة في الطريقة التي انتهجتها ، ولعل هذه الطريقة أكثر موافقة لنفسيتها ، ومزاجها وظروفها ، ففي كل صفحات الديوان ، وهي تبلغ المائة والأربعين لا تجد بسمة رجاء ، ولا تسمع ترجيع أمل بل شكوى مريرة ، ونقمة طاغية على الحياة وعلى البشر وعلى ذاتها أخيراً ، فهي قد خلقت لذاتها عالماً من الألم ، ووجدت فيه لذادة ولكنها لما تطالعت إلى ما حولها ، ووجدت الناس غير شاعرين بأن لذلك العالم وجوداً تولد في نفسها الاحتقار لهم ، لأنهم لا يشعرون شعورها ، ولا يرون ما ترى^(١) وأضيف إلى قول أبي ماضي إعجاب الشاعرة وتأثرها بالشاعر المصري « محمود حسن إسماعيل » وشعره مصطبغ بهذا اللون .

وما كان لنا أن نعترض على الشاعرة في هذا الاتجاه الذي ارتضته والسمت الذي قصده ، ولا نستطيع أن نعفل شاعريتها الثرة التي لا نلح في نتاجها أثراً للصنعة أو للتكلف ، وستملي قلوبنا إعجاباً بهذا الشعر العذب الدفاق الذي يبرز لنا لوناً من ألوان النظر إلى الحياة ، في نظم جميل ، وتعبير بارع عن إحساس حي ، وعاطفة صادقة ، في زمن كثير فيه أدعياء الأدب ومدعوه ، ولصوص الأفكار ، وسراق التعابير

وأصبح المجددون فيه ممن نفروا من الخلق الكريم، والقول السديد
وركنوا إلى السخرية من أنفسهم وقومهم .

ولم يخل الديوان على الرغم من هذا اللون الغالب الذى ذكرنا
من قصائد وجدانية بارعة ، ومقطعات وصفية رائعة ، تنطلق فيها
الشاعرة على سميتها ، فتبدع إيماء إبداع كقصيدتها « جزيرة الوحي »^(١)

خذنى ... إلى العالم البعيد يازوق السحر والخلود
وسر بقلبي إلى ضفاف توحى إلى القلب بالقصيد
جزيرة الوحي .. من بعيد ! تلوح كالمأمل البعيد
الرمل فى شطها ندى يرشف من دجلة البرود
والقمر الحلو فى سماها أمنية الشاعر الوحيد
فلتسر يازورقي بروحي قد آن أن يستفيق عودى

وكقصيدتها « مرثية غريق »^(٢) .

سكن الكون سوى المدح المدهى بأساطير العصور الخاليات
لم يزل يشكو المقادير ويروى أبداً للكون أسرار الحياة
وأخيراً لا يسعنا إلا أن نحى صداحة العراق ، وشاعرة الرافدين ،
وأن نرقب للشعر النسوى نهضة وحياة على يد نازك وأخواتها من
فتيات العروبة الناهضات .

(١) عاشقة الليل : ص ٨٠

(٢) عاشقة الليل : ص ٣٢

المخننار من شعرها

الحياة المحترقة

و كتبت الشاعرة هذه القصيدة الحزينة عند ما ألقت بمذكراتها إلى النار ،

هذه يانار أفـراحى وشوقى وشجونى
جئت ألقمها إلى فكـيك فى فجرى الحزين
كل مامر بقلبي .. من شقاء .. وحنين
القفية الآن .. لا تبقى لا تستمهلينى

هــذه الأسطر .. قد ضمت بقايا سنواى
منذ أن ألقت بى الأقدار فى تيه الحياة

سنواى كلها .. يانار .. فى هذى السطور
وأغاريدى .. وأشواق حياتى .. وحبورى
وبقايا من حنينى ... وشظايا من شعورى
وأبديد من الأحلام .. والحزن المير

إنها .. أيتها النار أزهـير شبابى
صفحتها ذكرى لأحزاني .. ورمزاً لعذابى
ومحا أسطرها دمعى .. وأبلاها اكتئابى
نخبها وأعيديها ركما .. من تراب

أحرقها ! ! لم أعد أعبا . . لن أبكى شذاها !
لنها . . يانار . . ذكرى الليال لن أراها
دفن الماضى خفاياها الخوالى . . ومحاها
وطوتها لجة النسيان فى عمق دجاها ! !

ذهبت تلك الليالى . . وطوى الدهر صبايا
أى نفع بعد يانار . . لدمعى ، وأسايا ؟
أى معنى لادكارانى ، وشوقى . . ومنايا ؟
لن يعود الأمس . . لن تلقى سنهه مقلتايا

أيها الحاضر لا تسرع إلى الماضى البعيد
ولتقف مركبة الشمس على الأفق المديد
ليكن بعد . . صبايا . . تحت أفياء الخلود
آه ! وليمح لفظ الأمس . . من سفر الوجود

أو أبدا ترك الماضى من الأحزان فينا
وامسح الذكرى ولا تبق لنا الشوق الدفين
حسبنا الحاضر آلاما ، ودمعا ، وشجوننا
رحمة فلتمسح الماضى وآثار السنين

فيم تبقى ذكرياتى حية بعدى . . وأنسى ؟
كل يوم أسرع الخطو عن العالم . . بأسا
وهى ما زالت شبابا ناضرا . . جسما ونفسا
آه ما أعنف أحقادى . . على الذكرى وأقسى !

أيها النار الهبي في الموقد الداوي الرهيب
 وخذي من فتنة الذكرى غذاء للهب
 ائسري منها . . أعيد بها رمادا . . وأذبي
 ودعيني مرة أضحك من قلبي الكئيب



إلى عيني الحزينتين

عيني أي أسي يرين عليكما	ويثير في غسق الدجى دمعيكما
إني أرى خلف الجفون ضراعة	تستنطق الكون العريض المبهما
أفغان تحت الليل الملح فيهما	قطرات ضوء يرتشفن الانجما
الكون مبتسم فأية لوعة	يامقلتي تلوح في جفنيكما
مسكينتان ! رأيتما مالا يرى	جيل أقام على الضلال وهو ما
جهل الحقائق في الحياة فلم يطق	عن زيفها هربا وعاش مهوما
مسكينتان ! كتمتما حم الأسي	فأبى تأوه خافقي أن تسكتما
فإذا الدموع غشاوة رقت على	جفنيكما سيلا سخينا مفعما
ورأيتما خال الدموع مفاتن الـ	ـماضى وطاف الشوق في أفقيكما
عبثاً تصوغان التوسل في الدجى	قلب القضاء قضى بالانتعما

عبثا . . فياعيني لاتضرعا	لا شيء يرجع بالجمال إليكما
حسبي وحسبكما الرضوخ لما قضى	قلب اليالى فارضنا واستسلمنا
كم حالم من قبلنا فقد المنى	ففضى الحياة لوحده متجهما

يرعى الليالى مانحاً ظلماتها روحاً مجنحة وقلبا ملهما
 عيني يا سر الطبيعة حدثنا ماذا وراء السكائنات رأيتما ؟
 رفعت دياجير الحياة ستورها لكما وأبدت سرها المستهبا
 هاتا حديث الموت هاتا سره قد آن يا عيني أن تتسكبا
 ما شاطئ الاعراف ؟ ما ألوانه ما سره الخافي ؟ صفاه وترجا

في صدرى الخفاق قلب راعش مازال صبا بالمفان مغرما
 لولاه يا عيني ما غنيتما بهوى الحياة اولا أصابكما الظما
 عذراً إذا حملتما حزن الدنا لولاي يا عيني ما حملتما
 وكفى فؤادى فى الحياة شقاوة أنى جنيت مع الحياة عليكما !



السفر

أنا وحدى .. فوق صدر البحر .. يازورق فارجع
 عبثا انتظر الآن فنجمى . . ليس يطلع
 هبت الريح على البحر الجنونى المروع
 فلتعد للشاطئ الساجى بقلبي المتضرع

عد إلى الشاطئ .. عد ما عاد يحلولى البقاء
 ذهب البحر .. بأصحابى .. إلى حيث الضياء
 أنا وحدى .. أيها الملاح .. حزن وبكاء
 يرجع الزورق بي .. وحدى .. إذا جاء المساء

ذهبوا .. للشاطئ المسحور .. إذ عدت لوحدي
 ذهبوا .. إلا أنا .. عدت بأحزاني وسهمدي
 لم أصب في رحلتى إلا .. صبا باقى وجهدي
 فليكن .. يا بحر .. هذا بالمنى آخر عهدى

كيف يا بحر توارى الركب .. خلف الجزر ؟
 كيف يذوى .. فى فؤادى الصب .. حلم السفر ؟
 عز يا بحر على موجك بره الصدر
 فلاعد .. لا رحمة الآن بقلب القدر !

فلاعد للساحل المظلم .. قلبا مستطارا
 أدفن الحلم وأحيا .. زهرة وسط الصحارى
 أبدا أروي أناشيدى بأحزان الحياترى
 أبدا أحلم بالفخر فلا ألقى النهارى

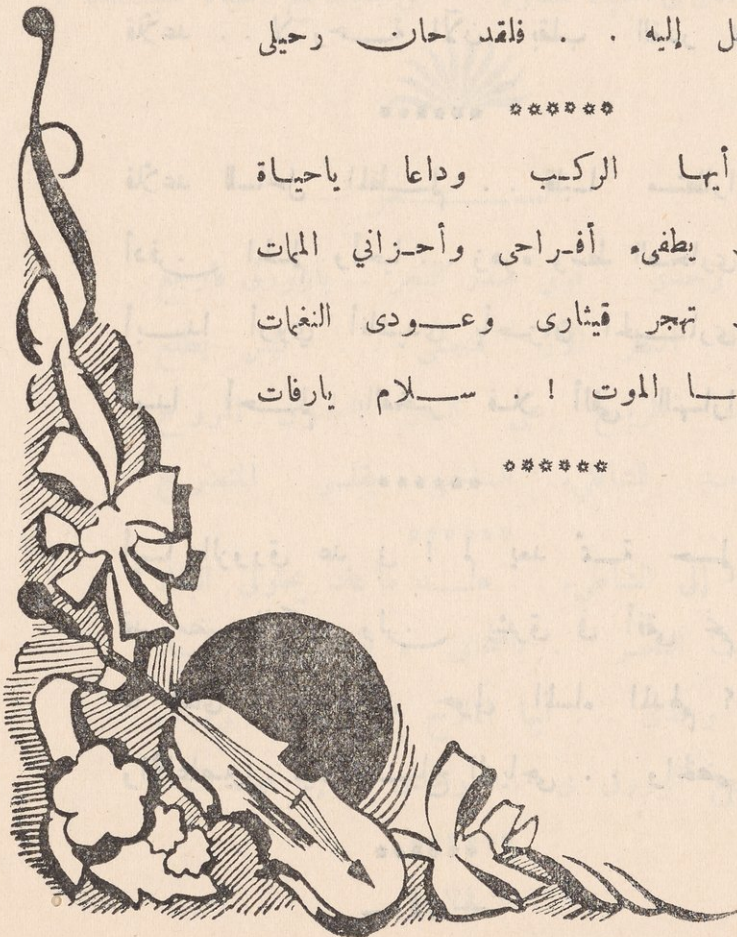
أيها الزورق عد بى ! لم يعد ثمة حلم
 قد مضى الركب وان يشرق فى أفقى نجم
 ما الذى أرجو ومن حولى المساء المدهم ؟
 والأعاصير .. وأشباح الدياجى .. والخضم

نارك

أيها الشاطئ .. يامنبع أحلامي .. وداعا
سئم المجتداف في كفى .. دفعنا .. وصراعا
كيف ألقاك .. وقد مزقت الريح الشراعا ؟
ورجائي فيك بين الموج .. يا شاطئ ضاعا

فلأعد !! لا سفر اليوم إلى الأفق الجميل
لن أرى الشاطئ ! لن أحلم في ظل النخيل
وغدا رحلتى الكبرى .. إلى وادي الأفول
آه فلأرحل إليه .. فلقد حان رحيلي

فوداعا أيها الراكب وداعا يا حياة
آن أن يطفئ أفراسي وأحزاني الممات
آن أن تهجر قيساري وعودي النغمات
فسلام أيها الموت ! سلام يارفات



عَلَّامٌ كَبِيرٌ

بلوت من الأيام كل عظمة وحسبي أنى قد ولدت بماتم
وكانت أغاني المهدلى رنة الآسى ووقع نحيب قد برى قلب أيم
ولقنت فى مهدى سجل مآتى وكم هالى فصل الشقاء الجسيم

(وأسى ما أ

« وأين يا أماء إذن أبي . . . ؟ »

بهذه الحروف تحركت شفتا الطفلة (عاتكة وهبي الخزرجي) حين سألت أمها ، وقد رأت صغار الجار يهرعون إلى أبيهم فيفتح لهم ذراعيه ، ويضمهم إلى صدره في شغف وحنان ، ولم تجد لها ما وجد أترابها ..

ولم يكن لهذه الأم البائسة من جواب على هذا السؤال الضارع سوى زفرات وعبرات انحدرت على محاجرها ! ..

فلقد سابقتها الأيام هذا الأب ، وحرمت عطفه بعد مولدها — سنة ١٩٢٤ — بستة أشهر ، وكان أباً تقياً ، شديد الحفاظ على دينه ، شديد الحفاظ على آله . أرخ ولادة عاتكة ، وأعقبها بهذه الدعوات : (سترها الله تعالى ، وجعلها خادمة له ، ولحيبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم) .

ولعله كان يتنبأ حين أردف هذه الدعوة التي تمثله بما كان يعمل له ويتمنى أن يكون المثل الأعلى لوليدته بهذه الحكمة المريرة (ولد الشيب يتيم) ! وقد كان !

وما درى هذا الأب ما حمل الدهر في طياته من أسباب النبوغ لعاتكة ،

وما ادخر لها من أسباب المجد بشاعريتها الصافية ، وقلبها الموهوب^٦
ولكنها لا تزال على رغم السنين تذكر بالحزن والأسى حرمانها من حنان
الأبوة وعاطفتها ، وإن كان الله قد من عليها بأم حانية ، كانت تحاول
جاهدة أن تنسى طفلتها ما سلبها الزمن ، وأن تطفى غلتها وظمأها
إلى حنان الأب ، فأولتها عناية الأم الرعوم ، وتسجل عائكة إحساسها
بالأسى والحسرات لفقد أبيها في أولى قصائدها ، فتقول :

تخال فتاة المهد لا تعرف الأسى وإلى عرفت الحزن من قبل مقدمي
كرعت من الآلام ما يحجل الوري ومن ثديها سما بصاب وعلقم

وفي عصر العلم والنور الذي شمل العراق فيما شمل من بلاد العالم ،
لم تجد الأم مناصاً من أن توج ابنتها التي حبتها بكل ما استطاعت من
أسباب الرعاية باب العلم ، فألحقها بمدرسة من مدارس بغداد الابتدائية ،
وقد ظهر تفوقها على مثيلاتها في هذا الدور من أدوار التعلم ،
واشتهرت بإجادة الإنشاء ، وجودة الإلقاء ، وظلت محتفظة بهذه
المزية حتى اليوم .

ولما أحست شغف ابنتها بالتزود من حياض العلم ، ورياض الأدب
لم تقف عشرة في سبيل طموحها ، فأدخلتها مدرسة ثانوية تتعلم مع
أترابها ، ولم تسكن الأم في استجابتها لإرضاء طموح ابنتها خارجه على
البيئة وتقاليدها التي درجت عليها قيد أنملة ، ففتاتها تذهب إلى مدرستها ،

وتسير في الطرقات متحجبة عن الأنظار ، وتجلس مع بنات جنسها . حتى إذا أتمت دراستها الثانوية بتفوق عجيب ، أحست بما تكابد من ضيق و حرج . وتنازعها إذ ذاك عاملان : عامل الحفاظ على مألوف البيئة ، الذي يوجب أن تقرر في بيتها لا ترى رجلا ولا يراها رجل ، وتقطع صاتها بالحياة الخارجية ، وعامل إشباع رغبتها الملحة في التزود من حياض العلم والمعرفة ، وليس للمعرفة حدود ، وليس ما يلائم آميال مثل هذه الفتاة من معاهد العلم في العراق إلا دار المعلمين العالية .

وأنى لهذه الغاية أن تتحقق ، وليس في هذه الدار قسم خاص بالفتيات ، بل هناك الاختلاط في مجالس الدرس ، وفي الإصغاء إلى المحاضرات ! وإلى ذلك الحين لم يكن « معهد الملكة عالية » قد أنشئ . وقد كان فيه ما يحقق هذه الغاية ويبقى على ما تعمل عليه الأم وفتاتها ! لقد كان في ذلك الحرج كل الحرج على هذه الفتاة التي نشأت في مثل البيئة التي ذكرنا ، وعلى النشأة التي رأينا !

ولم تستطع الأم أن توقف تيار الرغبة الجارف في اتمام دراستها فلحققت بقسم آداب اللغة العربية تجتني قطوف الأدب ، وتنمي استعدادها الأدبي الفطري الموهوب ، بزيادة مكسوب ، وتصغى إلى أساتذتها ، وتحدث زملاءها مع الإبقاء على مظهر النشأة الأولى ، وهو ارتداء العباءة خارج دارها ولو كانت في غرف الدراسة ، وفي قاعات

المحاضرة، وفي المجتمعات التي كانت تنفذها لتثنييف آذان الجمهور
بسلافة شعرها .

وظلت هذه سميتها أربع سنين ، حتى أتمت هذه الدراسة العالية
سنة ١٩٤٥ ، فعيّنت مدرسة للعبية وآدابها في احدى مدارس بغداد
الثانوية للبنات . وما يزال الشوق يعاودها الى أن تعيد سيرتها الأولى
فتجلس مجلس التليذ ، ولعل ذلك غريزة في طبعها ، فطلبت أن ترد
مصر تتزود بما فيها من علم ومعرفة ، وأن تلتحق بكلية الآداب بجامعة
فؤاد الأول بالقاهرة .

منذ أتمت عاتكة دراستها في دار المعلمين العالية ، التي كانت تلتزم
في أثنائها الحجاب وارتداء العباة حتى في صف الدرس ، وفي إلقائها
شعرها ، وكان يبدو عليها أثر الانقباض ، نبذت حجابها ، وطرحت
عباءتها ، وبدت سافرة الوجه ، ولعلها قد أحست بحاجتها إلى الطلاقة،
وتحطيم القيود ، لتشارك العاملات من بنات جنسها على نهضة المرأة
العراقية ، فقد شبت عن الطوق ، عاملة بقول الشاعر الكبير جميل
صدقي الزهاوي :

كل شيء إلى التجدد ماض فليذا يقر هذا القديم ؟
لم يقل بالحجاب في شكله ه ذا نبى ولا ارتضاء حكيم !
هو في الشرع والطبيعة والأذواق والعقل والضمير ذميم !

عرفنا من السطور السابقة الصدمة العنيفة التي منيت بها عائكة قبل أن تتفتح الزهرة من أكامها ، ثم هذا الشعور المرهف ، وشدة الحساسية بما تفتقده دون أندادها من أطفال الحى ، وهذا الحادث هو فقد أبيها ، وإحساسها بعظم الرزء فيه .

وكثير من الشعراء والنابغين عباقرة الفنون والآداب والساسة والقادة قد نموا بمثل ما منيت به عائكة من فقد الولي الحانى ، والاب الشفيق ، فتفتحت عيونهم على مرارة اليتيم ، وأحسوا حاجتهم إلى النضال والكفاح فى الحياة ، ليعوضوا أنفسهم عما فقدوه ، فتفتقت مواهبهم ، وبرزت عبقريتهم ، وكسبوا لأنفسهم مجداً فى الخالدين ، فاق كثيراً ما كتب لبعض ذوى الآباء ، وأولى النعمة والثراء .

فلا غرو أن يكون البؤس عاملاً مهماً من عوامل شحذ العبقرية ليشق صاحبها طريقه فى مضطرب الحياة ، ومزدحم الرجال !

ولا غرو أن يكون هذا العامل سبباً فى إثارة شاعرية عائكة وتفجير ينباع مواهبها الأدبية ، وفى الآيات الآتية تصور آلامها المكبوتة ، وهى طفلة تستقبل الحياة ، وتصور أيضاً نظرات أمها الحزينة إليها :

وألقت على الام نظرة أيم قرأت بها يتمى وتاريخ حسرتى
وكم كنت آسى إذ أشاهد طفلة تصيح أبى ، إذ يبتديها بطفلى
فأسرع فى ذل وبأس ولطفة أسائل أمى ، إذ أغالب دموعى

حنانك يا أمى ! أمانى من أب ؟ أمانى من كف تكفى كف عبرتى ؟
 هنا لا تجيب الام إذ يغلب الالى
 وفى أسلوب قصصى تصور الشاعرة فجيعتها بأبيها ، وآلام أمها
 التى لا يخبر أو ارها ، فتصف ما تتكلف الأم من مظاهر البشر
 والسرور ، لتحمل ابنتها على التخلص من الآلام التى أرضعت لبانها :

مررت بها يوماً فكانت كعمدها تحاول أن تخفى أسى بتبسم
 تهش إلى لقيائى نشوى طروبة وليس بها غير الضنى والتأم
 برتها يد الايام ، ثم رمت بها ولم تبق منها غير قلب محطم
 ووجه به خط الشحوب سطوره فكان كإيماء اسر مكنم
 وجسم به الاشجان باتت قريرة فكادت تراه العين بعض توهم ،
 وتدع هذا إلى وصف ما تجد من الآلام ، وما تكابد من حرقة
 الجوى ، ولواعج الأسى :

بلوت من الايام كل عظمة وحسى أنى قد ولدت بمأتم
 وكانت أغاني المهدلى رنة الالى ووقع نحيب قد برى قلب أيم
 ولقنت فى مهدى سجل مآتمى وكم هالى فصل الشقاء الجسم
 وتعود الى أمها التى أذواها الالى وحطمها الدهر :

وأبصرت عن بعد خيالا مهدما يغالب دمعا بين جفن مورم
 وخدله قد جفف الحزن ماءه وغاض به نبع الشبيبة والدم
 عرفت به أمى فضاغف لى الالى فأجهشت إجهاش الجريح المكلم
 وكفى كفت دمع اليتم عطفاً على التى رعنى وضمتنى بكف ومعصم

لقد كان هذا العامل، وما جبلت عليه الشاعرة منذ نعومة أظفارها من حب الاطلاع ومنذ أتاحت لها معرفة القراءة، الأثر البعيد في إرهاب شاعريتها، فكانت شغوفاً بالمطالعة إلى حد بعيد على الرغم من أنها كانت تحيا في بيت لا يجاوبها فيه صدى لهذه الرغبة الجارفة، وقد لا تساعد الظروف على اقتناء ما يروى غلتها، فتضطر إلى أن تستعير من صواحبها ما قد تعثر عليه بين أيديهن من كتب وصحف فتفيد منها ما تستطيع ثم تردها إليهن.

وكان من أثر إقبالها على القراءة، وشغفها بالاطلاع، أن قرأت كتاب الأغاني، فطالعت فيه أخبار قيس بن الملوح صاحب ليلي، فتأثرت بهذه الأخبار، وأنشأت منها رواية شعرية، سميتها «مجنون ليلي» ولكنها تختلف عن الرواية التي صاغها أمير الشعراء شوقي في الفكرة والتصوير، على الرغم من أنهما قد تلتقيان في بعض المواضع، وقد مثلت فصول من هذه الرواية في بغداد ظفرت بكثير من الرضا والإعجاب.



أما موضوعات شعرها فهي تلك التي تصور آلام يتيمها، وجميعتها في أيها، وما يتصل بهذا من وصف أمها، وتصوير عاطفتها، نحو التي ربّتها ورعتها، ولها كثير من القصائد تصف فيها حذب هذه الأم الروم وتناجياها.

وإذ قد نشأت عائكة يتيمة ، ذاقت مرارة اليتيم ، وأحست شجاء ،
منذ فتحت عينيها للمستقبل الحياة ، فقد كثر في شعرها وصف البؤس
والبائسين ، وقد يحلو لها أن تتبع شاعر العراق العظيم « معروف
الرصافي » في شعره القصصي ، الذي ينحو فيه منحى فريداً ، حين يتتبع
البائسين ، ويقفو آثارهم ، حتى يقف على مبعث آلامهم ، ويحاول أن
يفشأ عنهم آلامهم بما في استطاعته من أسباب السلوى والعزاء ، وقصيدها
« بائسة » مثل لهذا اللون ، فهي ترقب ذات حسن أعمال الفقربها
ميسمه ، فاضطرها إلى مغادرة كوخها قبيل الصباح في طلب الرزق
لأولادها الذين خلفتهم في غمرات الكرى :

قبيل الصباح جفت كوخها	وأطفالها في الكرى غارقون
يقضضها البرد عريانة	فتلتف بالشعر خوف العيون
مكحلة الطرف وسنانة	مكسرة الجفن دون الجفون
ترى هدأة الليل في طرفها	فهدأته لغز تلك العيون
وتحت دجى شعرها طلعة	وفيا يطل الصباح المبين

وبعد هذا الوصف البارع للبائسة الجميلة ، تنتقل إلى وصف
البؤس الذي أحال ألحانها أنيناً ، وإلى القلق الذي يساورها ، والدمع
الذي يغالبها ، والعدم الذي مزق خدر جمالها :

دم الورد قد ضم لكتفه	أشد احمراراً وطيباً ولين
يضم عقود جمان ترى	إذا وقع الثغر لحن الانين

تميس من البؤس ولهانة مقلبة الطرف كالحائرين
 خيبرني أمرها إنه لأمير يضيق به الصابرون
 وآلمني دمعها فانبورت تهل على الطرس هذى العيون
 وأحزنتني عدمها ذا الذي يمزق خدر الجبال المصون
 إن هذه القصيدة بمعانيها لتعيد إلى أذهاننا قصيدتي الرصافي
 البارعتين « الأرملة المرضعة »^(١) و « اليتيم في العيد »^(٢) ، ولا غرو
 أن يوجد مثل هذا التشابه بين شاعرين ذاق كل منهما آلام الحياة ،
 وفي بيئة كثر ما تقع فيها العين على مناظر الألم والبؤس ، وشعر
 الرصافي معروف متداول ، والمتأثرون به كثيرون .

هذا الولوع بالحزن ، ووصف مظاهره وآثاره في النفوس ،
 ومشاركة المحزونين في أحزانهم ، له ما يبرره في طبيعة عائكة ، وطبيعة
 نشأتها يتيمة حرمت عطف أبيها وحنانه ، ولما تزل وليدة في مهدها ،
 وإن كان يضطرنا الوقوف على كنهه وسره وعلله عند زميلتها « نازك »
 الملائكة كما سلف القول إلى جهد ليس بالقليل .

وسائر أغراض عائكة وليدة البيئة التي نشأت فيها . والجو الذي
 يحيط بها .. فلقد انحدرت من أصل عربي صميم ، ونشأت في بيئة
 عربية ، وثقفت ثقافة عربية ، وإذ كانت كذلك فقد اعتلج بين جوانحها

(١) ديوان الرصافي ص ٢١٧

(٢) ، ، ص ٧٤

ما يعتليج بين جوانح العرب المخلصين لعروبتهم وقوميتهم في عصرنا الحاضر . وأكثر الأمور إيلا ما لنفسها الحساسة ما يجد أهل فلسطين ، وما يقاسون من آلام التعذيب من الصهيونيين الذين يعملون على أن يجلوهم عن أوطانهم ، ومهبط عزهم ، وموحي ذكرياتهم وأجسادهم . ولها في هذا الغرض عدد من القصائد التي تفيض بالحماسة ، وتلهب جذوة النفوس ، وتهز المشاعر ، وتحيي النفوس السكيلة ، وتحفز العزائم الخاملة ، للظفر بآمال عرب فلسطين التي يجدها كل عربي أمله الموموق ، ويجد في تحقيقها عزه المرموق .

وهذه إحدى قصائدها في هذا الباب « فلسطين هيا ثورة عربية » تبدوها بوصف اعتداء الانجليز على حريتها ، وحمايتهم للأعداء من أبناء صهيون الدخلاء :

إليك عن الشكوى فلسطين إننا	نفوس ستهيا أو تكون حطاما
نفوس أبت أن تستكين لفتح	يرى الظلم دنيا والسفاه إماما
يقوض أركاننا ليسند ركنه	ويخفض هامات ليرفع هاما
تحكم في خيرائنا وأحالنا	عبيداً عليها أن تذل دواما
وقد جاء يبغى اليوم إيواء عصابة	صهاينة فاختر منك مقاما

وتنتقل إلى صدى أحداث فلسطين في نفوس العرب قاطبة ، وأثر خطوبها في العراق وساكنتيه بخاصة :

فلسطين آه من دموعك إنما
 وشكوك في قلب العراق رنينها
 بغداد أضحت كالعروس تأبست
 وعادت بها الأعراس وهي ماتت
 وعاد ضجيج اللصوص مروعاً
 إلى أن تقول :

لقد جمعنا يا فلسطين نكبة
 فلسطين حتام السكوت عليهم
 فلسطين هيا ثورة عربية
 فلسطين شذيا ضروسا لنارها
 فيما حياة تحت راية واحدة
 كما تجمع الاحزان شمل يتامى
 وقد حسبونا لانطق كلاما
 تصير أبراج الطغاة ركما
 تكون جسوم الظالمين ضراما
 ولما تروينا الطحون زواما

ومن قصائدنا العربية قصيدتها « دجلة تحي النيل » وفيها إشارة
 إلى الروابط الثقافية والدينية والتاريخية التي تربط مصر والعراق ،
 وإشادة بفضل مصر ، وأثرها في نهضة الشرق العربي في مختلف مناحي
 النهضة الحديثة فتقول :

إننا ليجمعنا نطق وما اختلفت
 ومبدأ الوحدة الكبرى يقربنا
 وإن تاريخكم مازال ينبؤنا
 بأنكم كنتم للجد أعلاما
 منا الدماء ودين بالهدى قاما
 قربا تحال به الإيوان أهراما

ثم تبدى حينها إلى أن تعيش في ربوع النيل ، فتروى ظمأها ..
 وتأمل أن تحقق الأيام آمالها فتفقد على وادي النيل ، تنهل مما فيه من

علم وليس يثنيها عن إبداء هذه الأمنية المحببة إلى نفسها حبها بغداد
مستقرها ومسقط رأسها فتقول :

يا مصر حيتك روحى وهى ظامئة لأن تعيش بقرب النيل أياما
وإن أبى الدهر إلا أن يخيبها فلا تجورى وأهدى الروح أنساما
أهواك مصر وما كانت تحولى بغداد عنك ولا والله من لاما
أهواك مصر ولوراحت تعاتبنى أمى العراق ل زاد الحب إضراما

ومن شعرها الاجتماعى الذى تصور فيه العلل المنتشرة فى بلدها،
هذه العلل التى تفسد على ذوى المثل العليا سعادتهم ، وتقض
عليهم مضاجعهم :

فأنى لمثلى أن تسالم دهرها وليس له إلا السفاهة مقصد ؟
وأنى لمثلى أن تسر بأمة بها الفرد عبد المال ، والمال سيد ؟
أناس تلاهوا بالضلال عن الهدى فليس بهم إلا كفور ومفسد !
فهذا سعى فى الأرض سعى مضلل وذاك بدين الحق يهزا ويلحد
تراه وراء الفلس يسعى مهرولا ولكنه عن دينه الدهر مقعد
ويأكل أموال اليتامى وإنه لأحسن من يحمى اليتيم ويرشد
ويختار من هام الفقير دعامه فيبنى عليها قصره ويشيد !

إلى آخر هذه العلل النفسية التى تشهدا فى الناس ، وأنتى تراها
عائكة المجتمع عن النهوض من الهوة السحيقة التى تردت فيها . ثم تعود
إلى أسباب البرء من هذه الأمراض ، وهو عندها الرجوع إلى الدين
والاعتصام بحبله المتين :

بلادكم يا قوم أمست عليلة ترجى دنو البرء والبرء يبعد
 وأنى لها والداء ينخر قلبها وأبناؤها فى قتلها اليوم تجهد ؟
 تمنيت أن لو عاد فينا محمد إذن لآتى بعد الضلالة يرشد
 فى قوم إن مات النبى خفية مبادئه وهى التراث المخلد
 فعودوا إلى إيمانكم بعد رجعة فعودكم للحق يا قوم أحمد

ومن شعرها الوصفى قصيدتها (على الشاطئ الأخرى) ومنها :

وجاءت من الليل أجناده تهيب الرحيل بجند الضياء
 فولى النهار وقواده وقد أذرته جنود المساء

وزاد السكون جلال الدجى وقد ضوأ الليل سحر القمر
 هو الليل قلب وذاك الرجا أنار له العيش لما اعتكر

ومد لى البدر من نوره خيوطا تخال بلا انتهاء
 ومد لى البدر من شعره نشيداً يهز هز جوز السماء

أما أسلوب شعرها فقد رأيت أيها القارئ أن عائكة تنبعث
 فى الشعر عن طبع أصيل ، ولهذا لا تجد فى عبارتها أثراً للتكلف ،
 ولا لمحة من التصنع ، ولهذا خلت ديوانها من محاولة التأنيق فى اختيار
 الألفاظ والتراكيب فلا إغراب فيها ، كما خلت معانيها من الإغراب
 فى الفكر ، والإبعاد فى الخيال .



المخاض من شعرها

نشيد الأمومة

أنت معنى الحب، بل معنى الحياة
أنت يا أماء من قلبى مناه

أنت بعدد الله رمز يعبد
أنت يا أماء سر سرمد

أنت.. من أنت؟ أهدى ومنا؟
أنت يا أماء لى إكليل غار

أنت نفع الروض عند السحر
فيك يا أماء شقى الصور

أنت من سامرتنى فى الظلمات
أنت يا أماء فقت الامهات

أنت من يبذر فى روحى المنى
أنت يا أماء اهل أنت أنا

أنت لى الصحب إذا ما أنكروا
أنت يا أماء ما أدخر

هوى الوطن . . .

قنى أنشدني من لحونك ما يصي
قنى أسعدى قلباً برته يد الاسى
حنانك يا ورقاء كفى عن البكا
حنانك ! ما يشجيك إذ أنت حرة
ألا ليت لى جنحاً فأهجر بقعة
أخوض عباب الجو تحدونى الصبا
وأصعب ما يلقى الفؤاد إذا قضت
وكيف بقلب قد تملكه الهوى
هوى وطن لم يرع حق محبة
هوى بقمع فيها رفات أحبتي
هوى بقمع فيهن مهدى ونشأتى
هوى بقمع فيهن قلت قصائدأ
هو بقمع ما رمت إلا سلوها
تنازع فى اثنتان : قلب يهيب بى
فهذا يرى فى القرب خيراً من النوى
فكيف أيا ورقاء أسعد فى الورى

فأنت ابنة الآلام والشعر والحب
ومثلك من يأسو الجراحات فى القلب
وغنى لحون البشر فى غصنك الرطب
تطير بك الانسام فى العالم الرحب ؟
فشا اللؤم فيها فى الاقارب والصحب
فأهجر هذا الشرق كرها إلى الغرب
صروف الهوى سلوان حب إلى حب
فأضحى وما يصغى للوم ولا عتب ؟
وجازاه هجرانا على الود والحب
وفىها أحب الذكريات إلى قلبى
ومسرح جدى فى الشيبية أو لعبى
أحب إلى روحى من البارد العذب
فكان الذى يسلى كمثل الذى يسبى
أقيمى ، ونفس لا تقيم على غضب
وهذى ترى فى البعد خيراً من القرب
وقلبى ونفسى مقبلان على حرب ؟ !



الفصل الثاني

من

مجنون ليلي

« المنظر : ليلي ، وقيس مقبل من بعيد وعليه حلتان من حلل الملوك
وهو يتغنى بشعره مقترباً من خيام ليلي . . . »

وما كان إلا نظرة وجوابها
وقد زانها دل تحليته رقة
وأسكرني منها عبير لاجله
وأحسست أن السهم في القلب نافذ
فسدت سهمي كي أصد سهامه
كلانا غداً نهياً لسهم أصابه
« زياد راويته يفاجئه على حين غرة وقد سمع شعره ،

زياد إذن كنت صيداً ثم أصبحت صائداً
وأى ظباء الحى يا قيس هذه ؟
قيس يثوب إلى نفسه
ومن أنت يا من قد سألت تطفلاً ؟

« بحث ، زياد »

صديق أراه الله قلب صديقه
ولم يدر من هذا المغير فقه
قيس زياد كفى هزماً وخل معذباً
ففى لحظه سحر دعاني للهوى
وقد شك فيه السهم حتى تغلغلا
أيا قيس بعد الجهل أن يتطفلاً !
تعشق ظيياً بالفتون مكحلاً
فأصبحت فيه مستهماً موكلاً
لخر صريعاً للتراب مزلولاً
ولو رشق التوباد فى سهم لحظه

زباد وما لك قيس لا تسمى؟ أغيرة؟

قيس ، ضجراً ، حنانيك دعنى لست بعد لاسلاً !

زباد ، متوسلاً ،

أتخفر عهد الود يا قيس ؟

قيس فاسمها

من الليل إذ أرخت على الظهر أليلاً

زباد أليلى ترى هذى ؟

قيس أجل بذت عامر وتلك التى باهت بفتنتها الطلا

تحكم فى قلبى هواها ولست من يقولون بعد الحب قد مل أو سلاً !

زباد ألا بارك الله الصباية والهوى

قيس فليس سوى طعم الصباية قد حلا

د يقترب قيس من زياد هامساً ،

تعال زياد اليوم أنشدك فى الهوى قصيداً سيبقى فى القرون مرتلاً

زباد ألا غنى قيس فكلى مسامح

وصفها لنا إن شئت وأشرح لنا الوجد

قيس تعشقت منها دلها وحياءها فتبطن لى وصلًا وتظهر لى صدا

تزيد إذا قربت منها تباعدًا فتزداد فى قلبى شرارتها وقدا

فدعها أيا قيس فان بمادها يجرعنى صاباً فأحسبه شهداً

رضيت بما ترضاه فى دولة الهوى وهل أنا إلا من غدوت لها عبداً ؟

لقيت بها ما كنت أنكر قبلها فقد علمتني الشعر والحب والسهدا
ولولا هواها ما تجرح خافقي وفاض بشعر طاول النجم والمجدا
هي الطهر إلا أنه جل وصفه هي السحر إلا أنه جاوز الحدا
هي النور إلا أنه جد محرق هي النار لكن ليس تخبو ولا تهدا
زباد بلوت الهوى يا قيس أنت بوصفه خبير !

قيس فقل لي هل مجيد له جدا ؟
زباد أجل هجت في قلبي دفائن حبه
وئارت بقلبي ذكريات غرامه فعاد الهوى غضا وعادت له سعدى
قيس إذن أنا أحيي الحب إن كان ميتاً
زباد وترعاه طفلاً إذ تهز له المهمدا
فأنت بحق شاعر الطهر والهوى !

قيس وأنت صدى شعري وأنت الذى تغدى
فدعنى إلى ليلى أسير لعلنى أراها فأشكوها عذابى والوجدى

« يمضى زباد تاركاً قيساً حيث الليل والبادية والحيام وهو يتأمل سحر القمر قاصداً خيام ليلي،

قيس « متأملاً القمر »

لست يا بدر مثلها فهى تسموع عن النظر
أنت للعين منظر وهى للقلب كالوتر
هى قدس منزه فوق ما يفهم البشر
وهى لغز معقد حار فيه أولو الفكر
هى لى اللحن صامتاً صمىغ فى أبداع الصور
وأنا النأى ملهما نسمة الفجر والسحر

إيه يا بدر نبني هل بها هاجت الذكر
أم تراها تشاغلت أو حلا دوني السمر؟

«يقرب من الحيام فيلقى فتيات الحى وفتياته يتسامرون وبينهم ليلي مطرقه فيحيهم ويجلس
قريبا منها يجاذبها الحديث،

قيس لم الصمت ياليلي؟

ليلى حنانيك إن لي حديثا بقلبي مادراه لسانى
قيس هو الحب ياليلي بعينيك ناطق يحدث فى يسر وسحر بيان
ورب حديث أقصرت عنه أحرف وضاعت به بين اللغات معانى
وذاك حديث الروح للروح فى الهوى

يترجم فى لفظ من الخفقان !

ليلى فديتك قيس ! هل ستحفظ عهدنا وهل سوف ترعى الحب كل أوان !
أم أنك أنسى إن قضى الدهر فرقة ويسليك عن ليلي دلال حسان
قيس ألم تعلمي ليلاي أنى موكل بحبك مأسور لديك جنانى ؟
ففى راحتك القلب إن رمت قتله قتلت وإن رمت النعيم أتانى !
ليلى إذن أنت أهل للعهد وللهموى وأنت عزيز لا تريد هوانى
تبادلنى صفو الوداد ولم تسكن تنمق لى الألفاظ فى الهيمان
فداؤك قيس الروح لا القلب إنه تقطع من وجد ومن خفقان !
قيس وكيف قضيت اليوم ليلاي ؟

ليلى فى جوى وبين حنين شفى وبرانى
إذا جئت أبغى الغزل كسرت مغزلى وخيل لى قيس بكل مكان !
وكيف ترى أنفقت يومك ؟

قيس سادراً أغنى نشيد الحب فى الجولان

غدت قبيل الفجر يا ليل فالهوى وطول الدجى هذا كيان كيانى
 أطوف فى البطحاء بين ظبائها فأذكر ظبياً بالدلال سـبـانـى
 وكم قد رنت نحوى فأخطأ سهمها وسهمك يا ليلي أصاب جنانى ١١
 لبلى كلانا أصاب السهم يا قيس قلبه
 قيس وهل نحن إلا للهوى هدفان ؟
 ودنيا الهوى فيها الشقاء سعادة وما عزها إلا رفيق هوان ١

* * *

لبلى لقد قفل السمار فالليل موهن وتلك نجوم آذنت بزوال
 قيس ذهلنا عن الدنيا وقد ضمنا الدجى غريقى بحار من هوى وخيال
 لبلى نعمت مساء قيس
 قيس ليلاى فانعمى مساء وعيشى الدهر ناعمة البال

* * *

« يفترقان ، فتدخل ليلي خيامها ويصير قيس حيث الليل وحيث البادية وحيث طيف
 الحبيبة مائل يناعيه ،

الطيبف أيا قيس هل أنت المحب المتيّم ؟ لبلى وهل ترعى هواها وتقسّم ؟
 قيس سلى القلب يا ليلي فقلبي يترجم ولا تسألى ثغرى فثغرى أعجم
 وإلا انظرى فى مقلة العين تهرئ سطور الهوى فالعين للحب معجم
 حنانيك ما هذا التجاهل والجفا ؟ أظلم وجور أم هوى وتسكتم ؟
 فإن كان جوراً حبذا الجور منكم وإن كان حبا فهو خير وأسلم
 الطيبف وهل قبل ليلي قد علقت ظبية تريك ابتسام الصبح إذ تنبسم
 قيس أحبكم قلبي ولم يهو قبلكم فأنتم له فى الحب مرقى وسلم
 سيبقى على عهد الهوى خير قائم فدون هواكم كل شيء محرم

الطيف وما هو هذا الحب ؟ كيف تحسه ؟
 بقلبك فاشرح أنت بالشرح أعلم
 قيس هو الحب نور قد أضاء لى الوري
 وكم بان لى قبل الهوى هو مظلّم
 وأخرجت من دنياهاى الرّجس بعد ما
 غدا فى سماء الحب قلبى يحوم
 وهاب الكرى جفنى وهبت مزاره
 فلا أنا أدعوه ولا هو يقدم
 ومن بات فى أمر عظيم فما الذى
 يحوله عنه أليل وأنجم ؟ !
 الطيف هواك إذن يا قيس نور وجنة
 وطهر وسهد فهو حب معظم
 قيس على القلب منقوش بنقش مخلد
 فبالطهر مخطوط وبالقدس يختم
 ومنه نهلت الشعر فهو ابن نوره
 فإن الهوى يملئ وروحى تترجم
 فلولاه لم أدر القصيد ونظمه
 وهل غير قلبى شاعر بات ينظم ؟
 « يخفى قيس ويتلاشى الطيف »

ستار



صنّف

فطينة النائب

مق تـمـتـز يا قيثـار نشوانا على صدرى ؟
فأنسى قسوة الأيام والتعذيب فى عمرى
كلانا صامت الألحان ! يحيا مضمـر السر !
كلانا تائق للحن محروق على الجـر !

قدمنا أن هذا النتاج الأدبي وإذاعته شيء جديد على البيئة التي
أنشأته ، وقلنا إن أدبيات العراق كن مضطرات إلى تجنب مزلق التعبير
عن انفعالاتهن الوجدانية وحالتهن النفسية التي تجيش بها نفوسهن
الشاعرة^(١) ... الخ.

والواقع أننا لم نكن مغالين في تقرير هذا القول الذي سقناه
حين تعرضنا لأدب المرأة العراقية وطبيعة شعرها ، واستقيناه مما
انتهى إلينا من آثار أدبها التي لم نجد في أكثرها ما يفصح عن العاطفة
الشخصية في مجال التحدث عن النفس ، حتى تكون هذه الآثار صدى
لخباياها ، ونبراساً يضيء السبيل ، سيميل من يحاول استكناه حقيقتها
والنفوذ إلى دخيلتها .

على أن إخفاء العواطف وكبح جماح الشاعرية عن الإفصاح عنها
والوقوف دون القلم إن حاول التعبير ، قد يكون له ما يبرره في هذه
البيئة التي ذكرنا شدة إيغالها في الحفاظ على المرأة ، والإبقاء على
تقاليدها الموروثة !

ولكن ما كان يدور بخلدنا أن نتصور أن الرغبة في طي الشعور

وإخفاء المواهب يصل إلى هذه الدرجة التي ينسكرك فيها الأديب نفسه ويخفي عن الناس اسمه ، وراء اسم مستعار ، وأن يظل على هذا السستر والإخفاء زمناً له حسابه في أعمار الأفراد !

... وهذه أديبة نابهة في الطليعة من أديبات العراق ممن أطلقنا عليهم لقب « الرائدات » لها روحها الموهوب ، وشاعريتها المطبوعة التي يلمح الناس نضجها فيما يقرءون مما تسمح بنشره من آثارها في فترات متقطعة في الصحف والمجلات ، وإنه لقليل ، وليست هذه القلة عن نضوب في القريحة أو تحجر في الشاعرية !

وتقع أعين الناس على توقيع مبهم ، لا يعرف أكثرهم شخص صاحبه ، ولا يهتمون إلى كنه كاتبه !

وأنى لهم ذلك ، وقد استتر صاحبه خلف هذا الاسم المستعار واحتجب شخصه بين الجدران ، وانزوى محياه وراء النقاب ؟ !
إن هذا الذي ذكرنا أقصى ما تفعل بيئة مسرفة الحجب والتضييق والحرمان على حد تعبير شاعر النيل حافظ إبراهيم .

واعتقد بعد كل هذا أن القارئ يقرنا على أن ذوات هذه المواهب جديرات بالإكبار ، جديرات بالخلود معا ، فلقد نشأن في هذه البيئة التي من شأنها أن تقتل المشاعر ، وتودى بالمواهب ، من تعصب والد ، أو قسوة زوج ، أو تحكم أخ ظالم يظن الشرف كل الشرف

في حبس النساء في عقر ديارهن . . وأطلت الشاعرية وحدها على
الرغم من كل ذلك تعلن عن رباتها !

هذه هي الأدبية الشاعرة « فطيمة النائب » التي لا يعرفها الناس إلا
باسمها المصنوع الذي تحتفي وراءه « صدوف العبيدية » !

ولهذا الاختفاء سببه فلقد نشأت في أسرة محافظة اشتهر رجالها
بالقانون والعلم والأدب والدين ، يغلب عليهم طابع التزمت والوقار
ورعاية التقاليد ، ويرون في الخروج عليها جريمة لا تغتفر .

والدها هو الابن المبكر للعلامة « عبد الوهاب النائب » الذي
كان شاعراً صوفياً ، أرخه العلامة السهروردي في كتابه « لب
الألباب » وينتمي هذا الوالد إلى قبيلة « عبيد » إحدى القبائل العربية
المشهورة في العراق .

وتفخر صدوف بعروبيتها وتلقن وليدها هذا الفخر في قصيدتها
التي سمتها « آمال أم » فتقول مخاطبة إياها :

من العرب الحكمة ورثت مجداً فكأن ذخراً فقد صرت السليلاً
وسر قدما مع الأيام واصعد إلى العليا ولا ترض القفولا

وأما امرأة تركية الأصل ، ولا يقل الأتراك المسلمون حفاظاً
على التقاليد ، وغيره على رعايتها عن العرب .

ومن هذين الطرفين المحافظين ولدت « صدوف » سنة ١٩١٧م وكانت الفتاة المدللة أول عقب لهذين الأبوين ، وأول طفل في هذا البيت الذي لم يحب على أرضه طفل منذ عشرات السنين ، ولهذا كانت رغبات هذه الوليدة فرضا واجبا تحقيقه ، وابتسامتها سرورا يعم الجميع ، ودموعها الما يغشى القلوب ، ثم ترعرعت بين وجوه يشع منها الخير ، وقلوب عامرة بالإيمان تفيض رحمة وحنانا .

وكانت صدوف مرآة صافية تعكس ما انطبع عليها ، وتضفي عليه مما يضطرب في جنبات نفسها من شعور فياض بحب الحياة وبحب الجمال . ولم يكن أمام صدوف ما يزعج سوى قسوة أبيها التي كانت تصدم شعورها ، بغيرته الشديدة على فتاته ، فما إن شبت وبدأت تحس بالحياة حتى حرم عليها هذا الوالد الخروج من المنزل ، فصبرت على قسوته كارهة وعيونها تتطلع إلى العالم ، ظامئة إلى كل ما حرّمته ، إلى رؤية الناس ، إلى صداقتهم ، تضطرب فيما يضطربون ، إلى الحياة .. إلى أجوائها الساحرة .. حيث ينطلق شعورها كغدير رقيق ، لاتصطدم أمواجه إلا بما يزيده رونقا وصفاء .

ولئن كانت قسوة الوالد على الصورة التي رأينا ، فان جدها الذي كان شغوفاً بها ، حانيا عليها عليها القراءة والكتابة التي أجادتها قبل أن تلج باب المدرسة في الثامنة من عمرها ، وزادها تعلقا بالقراءة

وحب الاطلاع محاولة أيتها الحيلولة بينها وبين ما تهوى على الرغم من المكتبة الفريدة التي كان يقتها . . . وحب شيء إلى الإنسان مامنع !

طالعت صدوف في أثناء دراستها كثيراً من أمهات الكتب في اللغة والأدب ، مما كانت تقع عليه عينها ، ويصادف هوى في نفسها ، ولم تكن لتفهم ما تحوى هذه الكتب ، أو تعيها حق الوعي في هذه السن المبكرة ، ولكنها كانت تجد بين سطورها ما تهفو إليه نفسها من شعر رقيق تحفظه ، أو طريقة لطيفة تستهويها ، وترويها في الليل لجدتها .

وعينت معلمة في المدارس الابتدائية ، بعد أن حصلت على ما يرشحها لمثل هذه الوظيفة من دار المعلمات سنة ١٩٣٧ م وكانت لا تزال مولعة بحفظ الشعر ، وحاولت لأول مرة أن تصوغ شعراً عرضته على بعض المقربات منها من الأدبيات ، فوجدت من لدنها استحساناً وتشجيعاً على الاسترسال فيما بدأت ، فأكثرت حتى سلس لها قياد الشعر ، ومررت عليه حتى كانت لا يمضي عليها يوم دون أن تصوغ قصيدة في يسر وسهولة ، ونشرت بعض قصائدها في الصحف والمجلات العراقية بعد إلحاح من محرريها ، فإنها لا تعنى — إن طوعاً وإن كرها — بإذاعة شعرها ، وإنما الذي يعينها أن تستجيب لطبيعتها الشعرية ، دون أن يعينها أن يقرأه إنسان ، وقد لا تعيد هي قراءة ما كتبت ولا تعنى بتهذيبه وتنقيحه .

إن شعر صدوف يمثل أول ما يمثل ما تحس من آثار الحجب
الذى عانتها منذ بدأت تستقبل الحياة ، يمثل ما تجد كل فتاة ألزمها
أهلها المنزل ، وضيقوا عليها الخناق ، فى عصر تنفست فيه المرأة ،
وأخذت تدنو من الرجل قليلا قليلا ، ويمثلها لا تجد ملجأ ولا معاذاً
مما تكابد غير الخلود إلى الصبر ، بعد أن يئست من إراقة دموع
لا جدوى منها . . فلا شيء غير الاستكانة للقدر ، والاستسلام
لأحكامه القاسية :

ليلي رأيك فى ضلال فاضحكى وتبسمي
ماكل ما نرجوه ميسور لنا فتعلمي
والصبر أسمى ملجأ ولك السوانح فاغنمي
يوم لنا بسعادة يسوى شهور تألم
ليلي فديتك ! لا تريقى الدمع لا تتحسرى
إن الدموع أعز من نعم الوجود فوفرى
وتنصح صدوف لوليدها الذى يستقبل الحياة أن يرفض الخضوع
والاستسلام ، وأن يأبى الذلة والهوان ، ولا شك أن هذا النصح من
قلب ذاق مرارة ما حذر منه :
فديتك لا تهن وارفض خضوعاً فلست منأى إن كنت الذليلاً
وتناجى قيثارها ، فتبثه ألمها من الناس الذين لم تهناً بقربهم ، ولم
يبادلوها ودها وقد هاموا بالقشور وعافوا للباب :

ملكت الناس يا قيثار . . . لم أهنأ بهم قرباً
ولم يدروا معاني الود ، أو يصفوا لنا قلباً
وهاموا ويلهم بالقشعر . . . لم يستندوقوا اللب

ولها عدا هذا الغرض قصائد ومقطعات وصفية ، ولكنك تلج
في ثنايا ما تأتي به من الوصف آثار ما تجد من الحزن والأسى
كقصيدتها « فراشة حول النار » التي تقول فيها :

حامت على النار لم تخش اللظى أبداً
وأسلمت جناحها للنار فاتقدا
تدور ناشدة إحراقها عمدا
وقلبها من غليل الوجد ما بردا

وقد اجتمع لديها مما نظمت أربعة دواوين هي « آلامى »
و « أحلامى » و « رنين القيود » و « سفير الروح » .

وهذه الأسماء وحدها التي تخيرتها لمجموعات شعرها تدل على
الحالات النفسية التي أوحى بها ، والظروف التي أملتها ، ومقدار
ما ينازعها من الشوق إلى الحرية والحياة .

تزوجت صدوف منذ سنتين من ابن عم لها ، إن لم تدفعه نعمة
التعصب ، فهو يخشى والدها أن يغضب إن خالف ما أخذها به منذ
طفولتها ، ويخشى بيئتها أن تسخط إن هو سمح لها بالبروز في المجتمعات ،

فإنها كما قدمنا من أسرة دينية شديدة المحافظة ، وأكثر رجالها من ذوى العباءم .

وعلى هذا فإنها فى حياتها الجديدة لا تختلف كثيرا عنها فى حياتها الأولى فى بيت أبيها ، سوى هذه السلوى التى تجدها فى طفلها الحبيب الذى تجد فيه مشاراً لشاعريتها .



من نـثرها

أحب ثورة الطبيعة ، كما أحب سكونها ، إن وجدت للثورة فى نفسى أصداء وترجيماً !

إننى متفائلة حتى باليأس ، واثقة بالله وعنايته ، حتى عندما أرى الدنيا ظلاماً ، والآمال حطاماً !

أحب كل الناس ، وقد لا أحب ! لكننى لم أكره بشراً فى حياتى حتى من أساء إلى وآلمنى !

أحب الحياة ككتاب لذيذ جدير بالقراءة ، كما أحب الموت ككتاب لم أقرأه بعد ، وإن أحسست أحياناً أنه بيدى ، وأنى على وشك قراءته ! الحياة .. مأس أو مسرات .. لذة أو ألم .. وما بينهما غير موجود !

المخمار من شعرها

فراشة تحترق

..... وتأبى الفراشة العنيدة إلا أن ترعى وسط اللهب ،

أنا : — أفرشتى الوهى رأيتك ترتين على اللهب
أفلم ترعى النار أم قد غبت فى دنيا القلوب ؟
لهفى عليك فإن جسمك بالظى الوارى يذوب
فإذا استطعت تباعدى فلسوف يقتلك الوجيب .



الفراشة : — إني أحب من الهوى لوعاته ولهيب جمره
وأحب لهفة ظامى ، وأعيش فى شغل بهجره
ما لذة الدنيا إذا لم يتصل حلوى بمره ؟؟؟
إني لا قصد ناره الحرام كى أفنى بجره



أنا : — واحر قلبى من لهيب راح يسرى فى جناحك
أتري سيبلى للفرود وهل يضاعف فى جراحك
لم لا تحبين الرياض فيهن — أسنى مراحك ؟
وعلى الزهور يطيب عيشك فى مسائك أو صباحك



الفراشة: — إني أحب الزهر لكن اللهب به الغرام
فإذا بعدت تسعرت نار يضاعفها الهيام
ناران واريتا اللظى هذى الحياة وذى الحمام
والقلب بينها بغلة وجده أبدا يغام .



أنا: — أفرشتى رفقا فنفسك لا يقر لها قرار
حسام يخدعك البريق فترتمين على الشرار
أنت الرقيقة لا يطيق جناحك الخضل نار
فارضى ببعذك واصبرى ، فلربما أجدى اضطبار !



الفراشة: — هيهات أبعد عن لهيب لذق فيه العذاب
هولى الحياة وإن نأيت فما الحياة سوى سراب
يا سعد نفسى حين يغدو ذوب روحى بانسكاب
لا تحسبن طموحة تجد الغنيمة بالإياب



دموع ليلى

دورب شكوى صامته أمض من صراخ محزون ، !

ليلى رأيتك فى ضلال . . . فاضحكى وتبسمى
 ما كل ما نرجوه ميسور لنا . . . فتعلمى
 والضبر أسمى ملجأ ، ولك السوانح فاغنى
 يوم لنا بسعادة يسوى شهور تألم !
 ليلى . . فديتك ! لا تربقى الدمع ، لا تتحسرى
 إن الدموع أعز من نعم الوجود فوفرى



ليلى دموعك فى الفؤاد غدت لهيبا سائلا
 يحيا عذابك فى العروق أمام عيني ماثلا
 فيحيلنى ألما يمزق أو حنيننا هائلا
 يحتاجنى ويهزنى والقلب يحنو قائلا
 ليلى فديتك ! لا تربقى الدمع لا تتحسرى
 إن الدموع أعز من كل الوجود فوفرى



فراشة حول النار

حامت على النار لم تخش اللظى أبدا
 وأسلمت جناحها للنار فانقدا
 تدور ناشدة إحراقها عمدا
 وقلبها من غليل الوجد ما بردا
 لم القساوة والتعذيب يا شرر ؟
 وشوقها دائم الإضرار يستعر ؟



أتعشقين اللظى والجرح قتال ؟
 وتطلبين الآسى والجرح سيال ؟
 أغرتك فيه أساليب وأميال
 خلت أن الشقا والبؤس آمال
 وقد صبرت على ما رامه القدر
 وقلبك الغض مشبوب ومنتظر



القيثار الصامت

إلام الصمت يا قيثار قد هيئت أشجاني ؟
فلم أسمعك آهاتي ولم أنشدك ألحاني
متى أصغى لآلحان عذاب دون أحزان ؟
متى ألقاك يا قيثار قد أنحدت نيراني ؟



متى تهتز يا قيثار نشوانا علي صدري ؟
فأنسى قسوة الأيام والتعذيب في عمري
كلانا صامت الالحان يحيا مضمر السر
كلانا نائق للحن محروق على الجمر



مللت الناس يا قيثار لم أهنأ بهم قربا
ولم يدروا معاني الود أو يصفوا لنا قلبا
وهاموا ويلهم بالقشر لم يستذوقوا اللبا
وقد بجوا مذاق الصدق بل واستعذبوا الكذبا



ملحة

غلة

أعيش فيهم خيالا روحه شردت

تجوب آفاق كـون غير منظور

يا للعذاب ! فروحي لا إياب لها

والجسم لا يترك الظلماء للنور

وهذه زهرة أخرى من الزهورات الياضعة في رياض الأدب
في العراق ..

وتربطها بزميلتيها « نازك » و « عاتكة » ، رابطة من أوثق
الروابط النفسية . وذلك هو رباط « الآلم » !

أما ألم نازك فألم نفسى مبعثه كما رأيت إحساس الشاعرة وحدها
بما فى الكون من آلام ، فالآلامها صدى ما تحس بما فى الكون من
هذه الآلام ..

ومبعثه عند عاتكة إحساسها بألم اليتيم حين بدأت تستقبل
نسائم الحياة .. !

أما مبعثه عند لميعة فمجموعة آلام .. من الفقر الذى نشأت فيه ،
وإلى المرض الذى قاسته صغيرة ، ثم اخترام الموت أباهما الذى كان
يؤثرها بحبه !

عركتها أنياب الدهر ، ومخضتها نوائبه منذ طفولتها ، فكانت
كالزهرة يصيبها الطل فيزيدها تألقا والتمعا ، وتنال منها الحوادث
فتشحن عبقريتها ، وتشير كوامن مواهبها .

قضت زمن طفولتها مريضة سقيمة ، وللمرض بأسه وسطوته ، ثم

اغترب عنها أبوها في طلب الرزق والمجد إلى أوربا وأميركا، وللغراق
آلامه ووحشته، وعاد هذا الأب إلى وليدته بعد ضرب في الأرض
صفر اليدين مما كان قد منى به نفسه وأهله، فذاقت معه مرارة الفشل،
وشاطرته خيبة الأمل !

واتخذ الأب من طفلته سبب تساية وعزاء، يشكوها بثه، ويبتها
شكواه، فأنست به، واطمأنت إليه، كما أنس بها واطمأن إليها، وما
لبث غير قليل حتى ودعها الوداع الأبدي، فبكته أمر البكاء ..
أنشأت لميعة أولى قصائدها، ولما نزل في الخامسة عشرة،
وأرسلتها شكاة مما تجد من قسوة وجمود — وهي الفنانة المتحررة —
في بيتها التي سخطت عليها منذ حداثتها، فقد كانت رفيقاتها ينفرن
منها خوف أن تمتد اليهن عدوى مرضها، فيمرحن ويتراكن، وهي
لا تقوى على الوقوف أو المشية الهوينى ..

ولا تزال تذكر على مضض كيف كانت زميلاتها ينظرن إليها
بإشفاق، ويتهامنن .. أن لميعة مسلولة .. انظرن كيف تسعل .. مسكينة
تلك الفتاة !

أرسلت لميعة هذه الشكاة إلى الشاعر الحر « إيليا أبي ماضي » الذي
كان يعرف أباهما، وتربطه به صلات ود وصداقة حين جمعتهم
الظروف في مهجرهما شجعتهما تلك الصلات على أن تبدأ بالشكوى .

أنا الغريبة في أهلى وفى وطنى وأنت تجهل معنى روحك البشر
وأنت تعرف روحى حيث تشبها وليس يخفى على لآلائك الخير
وتفزع إليه من يئسها ليكون من دعاة صلاحها :

عدد مساوئها ، واذكر محاسنها قد ضقت ذرعاً بها ، وانتابنى الضجر

فيجيبها « أبو ماضى » بكلام طويل جاء فيه :

« ... أيتها الشاعرة الصغيرة ... إذا كان حولك أناس مات فيهم
الحس ، وتحجر الخيال ، فهذا لا يوجب عليك أن تقنطى من وجود
أناس أهل حس ، وأصحاب خيال ، فإن وجود فتاة فى مثل عمرك
لها هذه النزعات الجميلة فى الحياة دليل لا يدحض على أن العراق يمشى
بفتياته وفتيانه إلى عصر جديد سعيد ..

وأخيراً أسوق إليك هذه الأبيات :

ابسمى كالورد فى فجر الصبا وابسمى كالنجم إن جن المساء الخ

وقد طلب إليها أن تنشده غير هذا من أشعارها ، فأرسلت إليه
قصيدة عنوانها « يانفس » ولشد ما كان دهش أبى ماضى عندما
وازنها بقصيدته « يانفس » ! فألفاهما تتفقان فى الوزن ، كما تتفقان
فى توارد الخواطر ، وحسب أن تليذته قد تأثرت بقصيدته ، وكانت
هذه القصيدة فى ديوانه « الخائل » الذى لم يكن دخل إلى العراق منه
شئ سوى نسخة واحدة هى التى أهداها للشاعرة فيما بعد !

ومطلع هذه القصيدة التي نظمتها في لحظة ألم وضجر ،
وأرسلتها اليه :

ابتسحى يا نفس وانسى الألم وشاركى الغريد عذب النغم
فكل ثغر للربيع ابتسم إلاك يا نفس ! فما تطلبين ؟

الروض والزهر وشقى الطيور والجدول المنساب بين الصخور
قد عم كل الكائنات السرور إلاك يا نفس ! فما تبتغين ؟

وظل التجاوب بين الشاعرة وبين أبى ماضى ، والتأثر بأدبه
يزدادان يوماً بعد يوم ، فعملها كثيراً من الصراحة والجرأة ، والتحرر
من القيود . . .

وأول باكورة لهذا التحرر المقالة الأدبية التي كتبته في مجلة
« عالم الغد » البغدادية وعنوانها « أنا وعباءتى ! » (١) وكان لهذه
المقالة أثر كبير ، فقد أحدثت دويماً في محافل الرجال ، ومجامع النساء ،
تنسك لها الجامدون ، وطرب لها المجددون ، وفيها شنت لمبة حرباً
شعواء ، على هذا الغطاء التقليدى بأسلوب وصفى بارع ، يقرؤه
القارىء ، فيسخره أسلوبه الهزلى ، ويدهشه مايرمى إليه من الأهداف
البعيدة على الرغم من أن الكاتبة لم تصرح بهذه الأهداف ، فهو الهزل
الذى يراد به الجد عند البلاغيين .

١ « عالم الغد » ص ٣١ من العدد التاسع = ٢٨٧ من السنة الأولى .

وقد عالجت في هذا المقال مقدار ما تجر العباءة على لابستها من قبح المنظر ، وما تسبب لها من التعثر في سيرها ، وفقد التناسق في حركاتها ، فضلاً عما تجر إليه من الفساد في بعض نواحي المجتمع ، حتى أنها لتجعل هذه العباءة سبب ركود النهضة الأدبية في العراق ! ومن قولها في ذلك :

« إنني متأكدة أن أهم سبب في تأخر النهضة الأدبية في العراق يرجع إلى تأخر المرأة وبالأخص حجابها . . ! من ذا الذي يلهي الشاعر غير الغيد الحسان . . ؟ وما يثير خيال الأديب غير رؤية الجمال . . ؟ »

إن أدباءنا بائسون محرومون ، يقتل الحرمان مواهبهم ، وفي بلاد أخرى يوقظ الجمال المواهب !

وترى في لون العباءة الأسود سبباً من أسباب الانقباض التي تغشى أذهان النسوة وقلوب الرجال فتقول :

« وهذا اللون القاتم ، لون العباءة الأسود . . . أو ليس رمز الغم والحزن ؟ لا تكاد تراه العين حتى ينقبض منه الصدر ، وكأن ظلمة عباءتنا تنعكس على أفكارنا ، فلا تحلم بغير الألم ، ولا تهافت إلا على رواية البؤس والشقاء ، فلا نكاد نحس بالفرح إحساسه الحقيقي . . وإذا كان المراد من العباءة التستر ، والوقاية من حر وبرد ومطر ،

فلم نشترى العباءات السود؟ لم لا تكون عباءتنا حمراً أو زرقاً
أو خضراً أو غير ذلك من الألوان التي تبهج النفوس، وتؤدي
الوظيفة عينها؟ !

ولها عدا هذه المقالة بهذا الأسلوب البارع مقالات نشرت منها:
« إلى ابنتي التي لن تولد » و « دعوتان » و « سفر ميمون » وغيرها.
ومن شعرها في قصيدتها « يا نفس » السابقة :

كون به الحسن قشيب الثياب خلعتة جريا وراء السراب
أولعت بالقشر وعفت للباب والناس بالصفو غدوا ناعمين



واعجبا يا نفس ! كم تأبهين ؟ لتافه الاشياء كم تألمين ؟
لكل قول كاذب تحزنين ! ما ذاك يا نفس السبيل الامين !
وكتبت مرة أخرى في شاعر يظهر أنه أزعجها بأشعاره :

أنت في أفق حياقي كوكب فوق الغيوم
أنت في روض خيالي زهرة خلف الكروم
أنت في بحر فؤادي زورق واه يعوم



أنت همس لا أعيه في حياتنا الصاخبه
أنت شمس في ضحاها أنت شمس غاربه



ليس قلبي أيها المفتو ن قفراً أو يباب
أو قبورا سوف تصب -ها أغاريد الغراب

ومن صور حب لمبعة أباه ، وشدة تأثير شخصية هذا الوالد في نفس ابنته أنها كانت تخشاه ، خشية الاحترام ، في شهوده وغيابه .

وفي البيتين الآتين توضح مقدار تسلط شخصية هذا الأب على خيال ابنته ، فقد رسمت صورته على خاتمها ، وقد همت بعمل ، ثم رأت أن هذا العمل ، قد لا يروق له ، فارتدت عنه ، إذ أبصرت صورته على خاتمها ، فقالت من قصيدة طويلة :

أبي كان في خاتمي نائراً يحرق مستنكراً فعلني !
وأسمعه عنقاً صاخباً أملك الدنيئة ، تلك ابنتي !

ومواهب لمبعة ، وبواكير أدبها تبشر بمستقبل باهر لنفسها وبنات جنسها في العراق . وقد يكون من طريف القول أن هذه الأدبية من طائفة « الصابئة ^(١) » ، ولكن العراق قد غشى بقوميته العربية على هذه النحل ، فعدا سكانه جميعاً يفكرون تفكير العروبة ، وينطقون لسانها ، ويزهون ببيانها .

(١) الصابئة في العراق قوم من أهل الكتاب ، يقال إن نبيهم « يوحنا المعمدان » ويحتفظون بأسرار ديانتهم وتعاليمها ، لا يطلعون عليها أحد من غيرهم ، ويكثرون في لواء « العمارة » يقيمون حول الماء ، لا تحمل للرجل عروسه إلا إذا جذبها منه ، ولا اللحم إلا إذا ذبحه فيه ؛ وهم أهل براعة ، يشوارثون صناعة المعادن ونقشها وزخرفتها « بالميناء » ويطلق عليهم عامة أهل العراق وعلى صناعهم التي ينفردون بها لفظ « الصبة » !

المخنار من شعرها

قيشارة

بعثت إلى الأرض قيشارة لتأسو بأنغامها البائسين
وإذ لمستى أكف الثرى سرت نغماتي عليها أنين
فداء لعينيك كيف أحيى بريق الهوى وسنا النيرين ؟
فداء لشغرك كيف اختفى صدى ضحكك وتلاشى الرنين ؟
فداء لقلبك كيف انتهى رفيف الجناح وطار السجين ؟
فداء ليمناك بذت الفنون لكم أبدعت من فريد ثمين !



سواء إذا أبغضتني الأنام أو ازدحم العيش بالمعجبين
عمرت فؤادي وحطمته فبهيات بعدك يوما يلين
عبدتك أنت مثال الخنان ولن أسمع الصبية العابثين



أبي خل عنك الردى لحظة لتكتب سطرأ مع الكاتبين

الأم

أماه ! يا هدى الطفولة والصبا
ويا نعمة الخنان التي تسرى في نفسي
ويا ملاك الرحمة الذي يواسيني في مصيبي
دمت لقلبي حارساً... ودام قلبي لك محباً !

كم من حبيب هجر
 وكم من زوج غدر
 وكم والد من بغيه نفر
 إلاك ! فأنت ثابتة كالحجر
 لا تززع حبك الاحداث أو الغير !
 إن زلت قدمي صحت .. أمي ..
 وإن مسني سقم دعوت .. يا أمي ..
 وإن حف بي خطر ناديت .. وأماه !
 هذه اللفظة على صغرها تبث في قوة هائلة
 فما عسى أن يبثه شخصها في ، ويدها تمسح جبيني ؟



يمل الطعام إذا تكرر مراراً
 والحب يضعف أو يموت في الاجتماع الدائم
 فما بال حبك يزداد كلما ازددت منك اقتراباً ؟
 وما بال الوصال الدائم لا يخفف من جذوته المستعرة ؟



ترتد يدي عن عصفور صغير ..
 وينفر قلبي عن صيد فراشة تطير ..
 ويحزني منظر طفل يتعذب
 لأن أمي علمتني أن لكل مخلوق أما تتألم !

الموت ... والصلو

بعيد أنت يا أبتى ولكن سلوتي أبعد !
 سيبتقي الدمع ما عشت وهذا ثوب الاسود



بعيد لا ترى دمعى ولا تبصر ما ألقى
ولا تسمع أناق ولا تألم أن أشقى
بعيد أنت يا أبتى ولكن سلوقى أبعد
سيفنى القلب من ألم ونار القلب لن تخمد

مقتطفات

شجرة

تمر السنون ويمضى البشر وتبين هازئة بالقدر
تراقصك الريح فى سيرها ويغسل فرعك هامى المطر
الناس ... والنار!

قد علمتني صروف الدهر باكرة بكل من أظهر الإخلاص لأناق
الناس كالنار لا ينجو سوى حذر منها ولكن غرير القلب يحترق

الدمية ... والطفل

الناس مثل الدى تنقاد صاغرة والدهر كالطفل فى هو يحطمها



خاتمة

أخرجنا في العام الماضي دراسة أدبية لشاعر العراق الكبير « معروف الرصافي » ، وبيئته السياسية والاجتماعية ، وكان لصدوره إذ ذاك صدى بعيد ، فقد تناوله أدباء العروبة في شتى أمصارها بالدرس والتحليل ، ولقى منهم اهتماماً بالغاً ، فجرت أقلامهم بالإشادة به والترحيب ، حتى لم تخل صحيفة أو مجلة عربية في مصر وسورية والعراق من ذكره .

وقد كان لهذه العناية البارزة ، والتأني الكبير ، أجل الأثر في نفوسنا ، فقد حقق هذا الصنيع كثيراً مما كنا نرجو من إحساس أدبائنا ومفكرينا بالحاجة إلى خدمة تراثنا الأدبي في النهضة الحديثة ، والإشادة بأعلامه . وقد أكبروا عامة إقبال كاتب مصري على دراسة شاعر عراقي عظيم كالرصافي ، ورأوا في هذا ثمرة من ثمرات الوحدة العربية المنشودة والتعاون الثقافي بين البلاد الناطقة بالضاد ، وإن تصدى لهذا الكتاب واحد من أدباء العراق بالنقد والدراسة في مقالات دمجها ، ثم جمع شملها في كتاب ، وكان له كما كان لأولئك فضل محمود وجهد مشكور .

ونقدم اليوم بهذا الكتاب « أدب المرأة العراقية » ، الحلقة الثانية من سلسلة جهودنا في خدمة الأدب العربي في البلد الشقيق . وهو في الوقت ذاته تحية للمرأة العربية في هذا الركن الركين من حصون العروبة الآبية .

ومع أن كثيراً من قادة الفكر من رجال العرب قد أولوا المرأة كثيراً من عنايتهم ، فدعوا إلى حريتها ، وعملوا على نهضتها ، ونادوا بحقوقها في التعليم ، وحقوقها في الحياة ، إلا أن الإشادة بجهود المرأة العربية ومواهبها وقابلياتها ، ماتزال في حاجة إلى المزيد .

وقد عملنا على هذه الإشادة من ناحيتنا الخاصة التي نملك ، وأعني بها ناحية
الآداب ، وهي إحدى النواحي التي لها أهميتها في نظرنا إلى النشاط العربي
والتراث العربي منذ أقدم العصور ، وما تزال لها هذه الأهمية في أيامنا
الحاضرة ...

ولغيرنا - إذا شاء - أن يعالج شئون المرأة العربية في النواحي الأخرى
في العراق وفي غير العراق ، فيشيد بها معلمة وطبيبة ومحامية ومصالحة اجتماعية
ومادة يد العون إلى الرجل في مواساة المنكوبين ، والأخذ بيد البائسين ، فإن
لها في هذه النواحي جهودا محدودة جدية بالإشادة والذكر . ومن وراء
هذه الإشادة خير كثير للمرأة ، وخير كثير للرجل الذي يسره أن يجد
لنفسه عوناً على مشاكل الحياة ، واجتياز عقباتها .



وقد رأى أستاذنا الكبير د. الدكتور إبراهيم سلامة ، الذي قضى في أجواء
العراق العلمية والأدبية سنوات يذكرها قادة الفكر والعلم والآداب في القطر
الشقيق أجمل الذكر ، ووقف بنفسه على الاتجاهات الأدبية في بيئاتها المتنوعة ،
والذي يضطلع الآن بدراسة الأدب المقارن والنقد الأدبي في كلية دار العلوم
حصن العربية في الشرق العربي ، رأى أن يمد لنا يد العون فيما نحن بسبيله ، فتهفضل
بكتابه الكلمة النفيسة ، التي يطالعها للقارئ في صدر الكتاب ، جزاه الله عنا
وعن الأدب الذي يعمل لخدمته بعقله الحصيف ، وعلمه الوافر ، وبيانه الرصين ،
خير الجزاء .

وما توفيقنا إلا بالله ؟

بروي أحمد طبانة

وكتب في القاهرة يوم الثلاثاء ١٦ من ذي الحجة سنة ١٣٦٧
١٩ من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٤٨

فهرس

المرأة العراقية

إهداء الكتاب ٣

تصدير

بقلم الأستاذ الدكتور ابراهيم سلامة ٥

مقدمات

حديث ٩

الشعر العراقي بين حاضره وماضيه ١٣

المرأة العراقية ودعاة حريتها ١٧

أدبيات العراق ٢٣

رباب الكاظمي ٢٧

المختار من شعرها ٣٧

أم نزار الملائكة ٣٩

المختار من شعرها ٤٩

٥٣	 نازك الملائكة
٧١	 المختار من شعرها
٧٧	 عاتكة الخزرجية
٩١	 المختار من شعرها
٩٩	 صدوف العبيدية
١٠٨	 المختار من شعرها
١١٣	 لميعة عباس
١٢١	 المختار من شعرها
١٢٤	 الخاتمة



تصويب

في السطر الأول من الصفحة ٢٤ « ينزل ، وصوابها « ينزلان »
 في السطر ١٨ من الصفحة ١٨ « حافظ ، وصوابها « حافظاً ،
 في السطر ١٥ من الصفحة ١١٩ « حياتنا ، وصوابها « حياتي ،
 هذا أخطاء مطبعية أخرى لا يخفى صوابها على القارئ الكريم .

كتب المؤلف

معروف الرصافي :

دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية .

الطبعة الاولى . مطبعة السعادة — القاهرة ١٩٤٧ (نقد)

أدب المرأة العراقية :

الطبعة الاولى . مطبعة العالم العربي — القاهرة ١٩٤٨

(الثمن ٢٠ قرشاً)

نهضة الادب في العصر الحديث :

(بالاشتراك مع الاستاذ محمود ابراهيم)

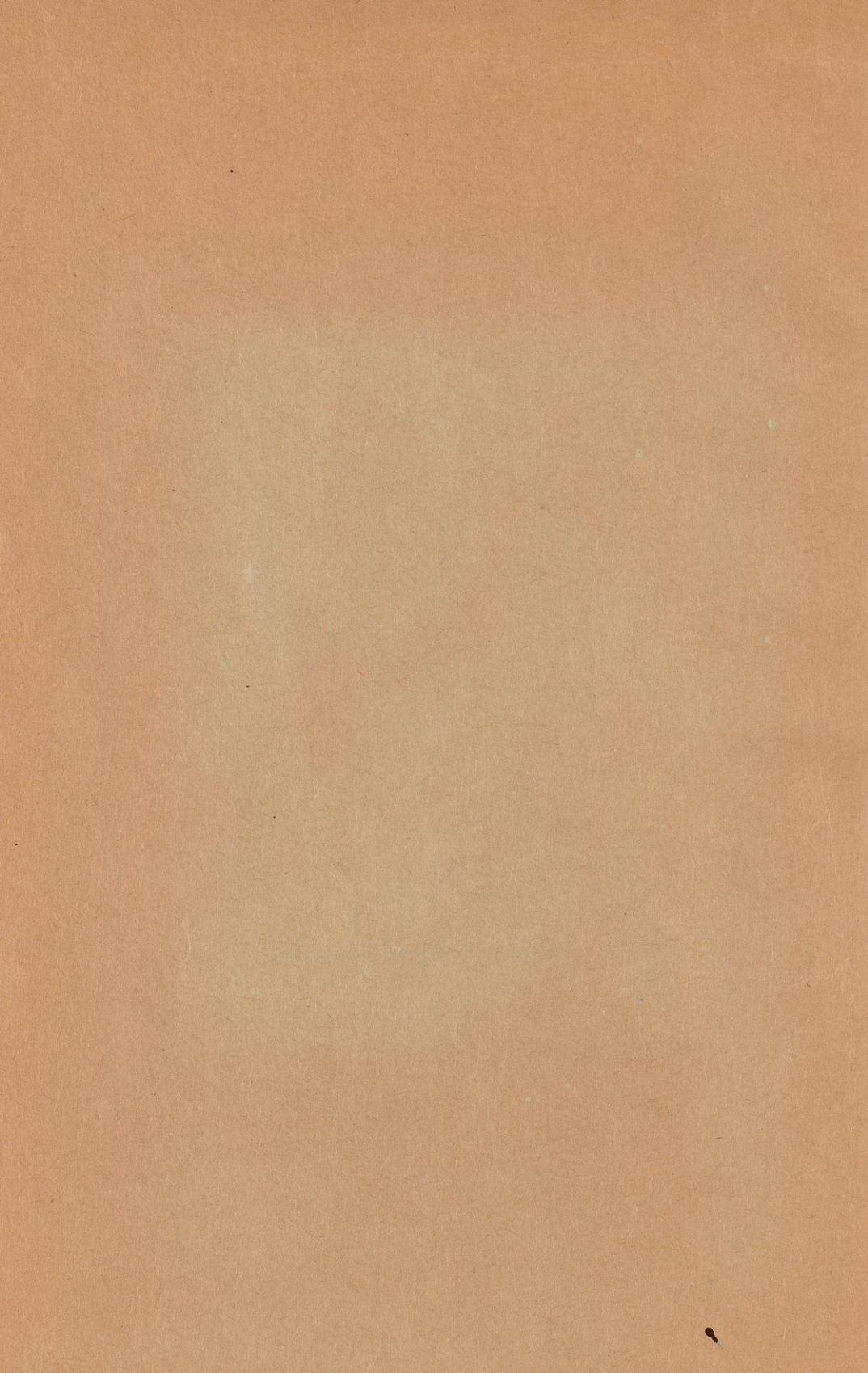
الطبعة الثالثة . مطبعة الزمان — بغداد ١٩٤٦ (نقد)

النصوص الأدبية :

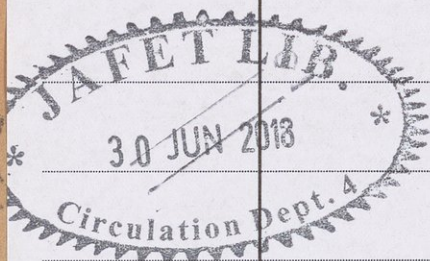
(بالاشتراك مع الاستاذين عبد المجيد حسن ومحمد مرور)

الجزء الأول للسنة الرابعة الثانوية (الثمن ١٢ قرشاً)

الجزء الثاني للسنة الخامسة الثانوية (الثمن ١٥ قرشاً)



DATE DUE

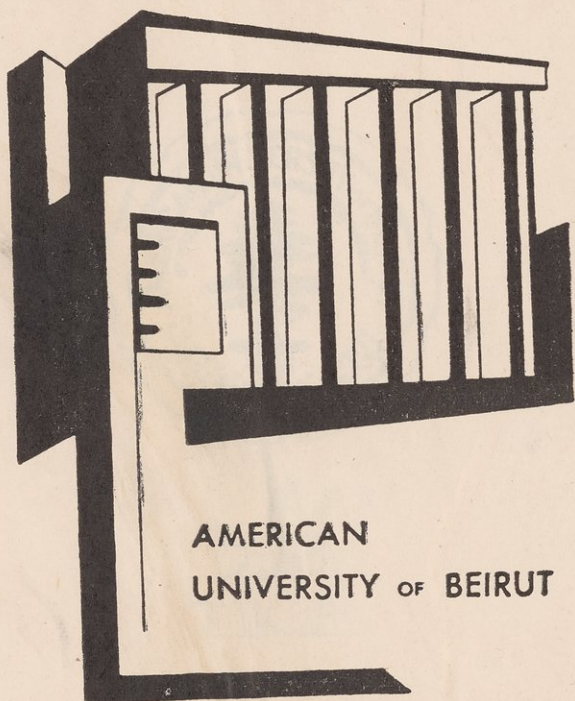


طبانة، بدوى احمد
ادب المرأة العراقية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01036972



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

892.7109
Ta 1121a A